أنيس منصور

لعنة الفراعنة
و
شيء وراء العقل

دار الشروق

لعنة الفراعنة
و
شئ وراء العقل

الطبعة الثانية عشرة
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
الطبعة الثالثة عشرة
١٤١٤هـ-١٩٩٣م
الطبعة الرابعة عشرة
١٤١٦هـ-١٩٩٥م
الطبعة الخامسة عشرة
١٤٢٠هـ-١٩٩٩م
الطبعة السادسة عشرة
١٤٢٢هـ-٢٠٠١م
الطبعة السابعة عشرة
١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية - مدينة نصر - ص . ب : ٣٣ البانوراما
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email. dar@shorouk com

مقدمة

كنت فى هونج كونج . وصلت متأخراً من أستراليا . لا أعرف أحداً ولا أنتظر أحداً . وكل ما أعرفه عن هذه الجزيرة هو ما قرأت عنها . وفى جيبى ورقة عليها اسم أحد الفنادق . ذهبت إليه وسألت إن كانت لى غرفة . فقيل : لالا . . فتساءلت : كيف . لقد حجزت غرفة من أستراليا . وجاءنى الرد بأن الغرفة فى انتظارى . وقد جئت بعد موعدى بساعتين فقط . .

لا توجد غرفة .

هل تنصحون بأن أذهب إلى فندق آخر تعرفونه . . أو تربطكم به صلة عمل . امتدت الأيدى الصينية القصيرة تشير إلى فندق على الناحية الأخرى من الشارع . . اتجهت إلى حيث كلمة «فندق» . . وصعدت السلم . وأشاروا إلى غرفة مفتوحة . ودخلت . وألقيت متاعى . وارتميت على السرير . ونمت . وعند منتصف الليل صحوت على ضوضاء كثيرة وعلى باب غرفتى الذى انفتح . وقد رأيت كلباً صغيراً نائماً على حقيبتى . إنه يشبه الكلاب الفرعونية التى فى حراسة المعابد . . أو فى حراسة الروح فى طريقها من الأرض إلى السماء .

ولم أصدق أن الذى أراه حقيقة . . وإنما تخيلت أننـى أحلم . . فاستدرت لأكمل النـوم لولا أننـى أدركت أنـى قد صحـوت من النـوم فعلاً . ولم أجـد الكلـب . وضحكـت . ونظرت فى السـاعـة ووجـدت الليل قـد انتصـف . ونهضت وأقفلـت الباب . ثم عـدت أفتحه وأخـرج لأسأل عن اسـم الفندق الذى نزلت به .

وعرفت مـن وجه موظفى استعلامـات الفندق أن هذا ليس فندقـاً بالمعنى المألوف . . ولا هـو كباريـه خاص . . وإنما هـو فندق يعمـل لحساب أحـد الكباريهات وأن الـرجل تحت أمـرى . . وكل ما أفعلـه هو أن أشير بـأصبعى لأختار ما يعجبنى من أى شىء . .

آه . فهمت . .

ودفعت أجر المبيت . وسألته إن كان يعرف أحد الفنـادق . فهز رأسه أن إحـدى قريبـاتـه تعمـل فى فندق مجاور . وذهبـت وعـرفـت اسم الفنـدق . ووجدت أن اسمه « فنـدق كارترفون » ـ وكارتـرفون هذا هو اسم الـرجل الذى اكتشـف مقبرة توت عنـخ آمـون . . إنجليزى وهـونج كـونـج هذه مستعمـرة بريطـانية . . فهذا الفنـدق له صلة بمصر . فـأنا لست بعيـداً عن مصر . . صحيح إن طريقى إلى مصر ما يزال طويلاً . . فبعـد هونج كونج سأسافر إلى اليابـان ومنها إلى جزر هـاواى ثم إلى أمريكـا ثم إلى أوربا ثـم إلى مصر لأكمل رحلتى التى استغرقت ٢٠٠ يوم حول العالم بلا توقف . . ولكن هذا الفندق له اسم قريب من مصر . . أو هو قريب من مصر . .

ودخلت الغرفة وأقفلت الباب بالمفتـاح . . فهذه جزيرة الخطف والنصب والاحتيال والغموض ـ وكل الأفلام تؤكـد ذلك . . ولا أعرف كيف جاء النوم

بسرعة ولكنه جاء . ومعه الكثير من الراحة التامة بجسمى ونفسى لولا أننى لاحظت نوعاً من البرد الخفيف بدأ يلسع أنفى . وواجهته بما يستحقه من الأسبرين والفيتامنيات . . واختفت هذه اللسعة من الأنف والحلق . وحمدت اللّه أنه لا الزكام ولا اللصوص تسللوا إلى غرفتى . . وضحكت من فكرة أن يتسلل اللصوص إلى غرفتى . . ولو فعلوا لخاب أملهم تماماً فليس عندى ما يغرى أحداً بأن يسرق شيئاً . لا شىء . ولو كان عندى شىء ما سافرت هذه المسافات الطويلة . فكل ما معى من فلوس أحوله بسرعة إلى تذاكر طائرات . .

ومضى يومان . وفى اليوم الثالث ركبت الطائرة إلى طوكيو . وفى الطائرة زارتنى فكرة مقلقة . لقد تذكرت أن حقيبتى ربما لم تكن هى . . ربما هى حقيبة مشابهة ولاأعرف كيف جاءتنى هذه الفكرة وأنا فوق السحاب . . هل جاء ذلك بسبب أن الطائرة قد دخلت منطقة إعصار . . مركز إعصار عنيف اسمه « دينا » ولذلك أخذت تهتز بعنف وتهبط وتعلو والناس الصينيون واليابانيون من حولى ازدادوا اصفراراً . . ولكن انشغلت بهذه الفكرة من كل لون السحب الذى يتكوم على شكل رغاوى الصابون . . ثم رغاوى الجير . . ثم تنفجر السحب على شكل برق وحرائق خارج الطائرة . وفزع وصراخ داخل الطائرة . . ولكن هذه الفكرة جاءتنى مثل طوق نجاه فقد تعلقت بهذه الفكرة واستغرقتنى تماماً. فلم أعد أفكر فى هذا الذى يحترق خارج الطائرة . . وفجأة أدركت أن هذه الفكرة تشبه طوق نجاة من المطاط وقد امتلأ بالبنزين . . وأنه لن يمضى وقت طويل حتى ينفجر طوق النجاة . . ولا نجاة !

شىء غريب . . ثم تذكرت الكلب الذى نام على حقيبتى . صور

غريبةمتتابعة . أو هلوسة متواصلة . ونظرت إلى الطعام أمامى والشراب . ولم أجد أية علاقة بين هذا الهذيان وبين الطعام .

وفى مطار طوكيو تأكدت أن هذه الحقيبة ليست لى . إنها شبيهه بها تماماً . وأمام موظفى الجمارك فتحت الحقيبة . ووجدت أنها قد امتلأت بملابس الأطفال الصغيرة . وقبل أن أفتح فمى بكلمة ، أقفل موظف الجمرك الحقيبة وأشار أن أحملها وحملتها إلى خارج المطار . وفى فندق « دايتشى » بطوكيو فتحتها لأجدها قد امتلأت بملابس أطفال وأحذيتهم . . ومعنى ذلك أننى الآن فى طوكيو بلا منديل ولا جورب ولا بيجاما ولا موس حلاقة ولا كتب ولا مذكرات !

وكل ما جاء فى رأسى : أنها صدفة سخيفة . . ومقلب غير مقصود . . وبضعة مئات من الدولارات أشترى بها بعض الملابس ، وكما هى عادتى ، فإننى ألقى بالملابس فى الطريق بعد استخدامها بعض الوقت حتى تكون حقيبتى خفيفة . ـ إنها عادة سيئة ! فأنا أكره أن تكون الحقيبة خالية من الكتب أو مليئة بالملابس !

وفى نهاية رحلتى ذهبت إلى إيطاليا سعيداً بالراحة الهانئة التى سوف أحصل عليها : فقط أن أرتمى على أى فراش وأغلق الباب والشباك وأنام . . فقط أن أنام . فقد تعبت من السفر أكثر من ٢٢٣ يوماً حول الكرة الأرضية بلا توقف . واخترت من المدن الإيطالية مدينة راباللو على الريفييرا الإيطالية . المدينة جميلة أنيقة رشيقة . هادئة . وأكثر سياحها من الإنجليز والألمان . وفى القطار وجدت اسم فندق صغير «توتى توت » . . اسم عجيب . ولكن أسعار معقولة . وذهبت إليه . ووجدت صاحبة الفندق سيدة ضخمة . وجدتها

ضاحكة من غير مناسبة ، ككل الإيطاليين . فقالت : آه جائع !

قلت : جدًّا

قالت : من أين ؟

قلت : من أمريكا

قالت : أنت أمريكى . . لا أظن ذلك !

قلت : قادم من أمريكا . . أنا مصرى . .

قالت : إذن أنت جائع جدًّا . .

قلت : جائع إلى النوم . فى عرضك . . أيـة غرفة . وأقفلها بالمسامير . . تماماً كأنك تضعيننى فى تابوت . . كأى ميت فرعونى .

ولم تتوقف السيدة عن الضحك . .

وفى الصبـاح عرفـت أن الفنـدق اسمه « تـوت عنـخ آمون » . ولكـن على طريقة الإيطاليين فى تدليل الأسماء جعلوا اسمـه « توتى ـ توت » أى كل شىء لتوت عنخ آمون . .

صـدفة غـريبـة . أن أنزل فى فنـدق مكتشـف توت عنـخ آمـون فى هونـج كونج . . ثم فى فندق يحمل اسم جلالته على الريفييرا الإيطالية .

وتضايقت مـن إحساسى بأننى مشتـاق تماماً إلى مصر بهذه السرعة . . أو إلى أى شىء له صلة بمصر . فكل الذى يهمنى هـو أن أنام بعض الوقت قبل أن أعود إلى مصر . . بعض الوقت !

وأنا لا أعرف السباحة . .

وركبت زورقاً مع بعض الأصدقاء . واهتز الزورق وسقطت فى الماء . . فى نفس المكان الذى غرق فيه الشاعر الإنجليزى شيللى . . ولم يكن الماء عميقاً . ولا أعرف كيف غرق الشاعر لابد أنه كان مخموراً . . وعندما أخرجونى من الماء اصطدمت ذراعى بالزورق فنزف دمى . . وعدت إلى الفندق مجروحاً مزكوما . .

وحان موعد السفر . .

ولا أعرف بالضبط ما الذى حدث لقد اشتعلت النار فى غرفتى . . كيف؟ واحترقت الستائر . . وحقيبتى . ولقيت كل الغرفة كما هى . وجاءت صاحبة الفندق لتضرب كفًا بكف وتقول : كيف ؟

فقلت : لا أعرف . . ولكن الجدران لم يصيبها شىء . . ولا الفراش . . ولا السرير . . ولا ورق الصحف . . ولا أثر لكهرباء فى الجدار الخشبى . .

ولم أفكر طويلاً . فقد كنت مشغولاً بالسفر إلى روما . . وكلها بضعة أيام وأعود إلى مصر . . وفى القطار فتحت حقيبتى لأصرخ : إنها ليست حقيبتى !

وكان القطار قد تحرك . .

فقط هنا خطر لى أنها « لعبة » الفراعنة . . أو « لعنة الفراعنة » . ولم أكن أعرف فى ذلك الوقت ما الذى كنا نقصده عندما نذكر هذا التعبير ؟ أى ما الذى يحدث لأى إنسان عندما يكون له أية صلة بالفراعنة ؟ ثم ما هى صلتى بالفراعنة ؟ وهل حدث نفس الشىء لأصحاب فندق هونج كونج أو فندق راى يو . . ثم هل حدث نفس الشىء لكل النزلاء ؟ أو أن الفراعنة يخصون بمداعباتهم المصريين فقط ؟ ثم من هم هؤلاء الفراعنة الذين يفعلون ذلك ؟

هل هـى أرواحهم تطارد الناس فى كـل مكان ؟ ثم مـا هى لعنة الفراعنـة التى أصابـت مصر فى كل العصور ، فنحـن فراعنـة ، ونعيش حول قبـورهـم وبين أرواحهم ؟

وتـذكرت أن هـذا التعبير « لعنـة الفراعنـة » لم يظهـر على الأقلام إلا بعـد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ! فقد مات جميع الذين عملوا فى حفر قبر توت عنخ آمون على أشكـال غريبة ـ أى كـان موتهم غريباً عجيبـاً . . حدث ذلك لجميع العمال والمهندسين والأثريين والأطباء ـ جميعا دون استثناء !

ولم يتنبه الـذين اكتشفوا المقبرة إلى تلـك العبارة المكتوبة عنـد مدخل غـرفة الملك والتـى تقول : إن الموت يضرب بجنـاحيه السامين كـل من يعكـر صفو الملك !

فلم ينج أحد من ضربة هذين الجناحين . لا أحد . .

واختلف العلماء فى تفسير معنى اللعنة . .

ولاأظن أحداً قد استطاع ـ فى جو ورقـة علمية ـ أن يناقش قصة اللعنة كما فعل الكاتب الألمانى فيليب فاندنبرج فى كتـابه المشهور « لعنة الفراعنة » . فقد قرأ الكثير من الدراسات المعاصرة . وتعمقها . ثم عرضها فى عبارة جميلة .

وتساءل : هل اللعنة هى إشعاع ذرى أو استخـدام الفراعنة للمواد المشعة التى يتعرض لها كل من فتح المقبرة ؟

هل اللعنة نوع من الغازات السامـة تخرج من الأعشاب والخشب عند فتح المقبر ة ؟

هل هـى نوع مـن النظريـات تلاحـق كل مـن اكتشف المقبرة أو لعـب فى

الخشب ـ لقد حدث ذلك لإناس كثيرين . .

هل اللعنة مجرد صدفة ـ أى أن يمـوت الإنسان فى نفس الوقت الذى يجىء مع انحطـاط حالة « الإيقـاع الحيوى » وهى نظريـة سوف نجدهـا فى الفصول التالية ؟

هل الخفـافيش فى الدهـاليز والمقابر لها دخـل فيما يصيب الناس بـالهذيان حتى الموت ؟ لقد حدث ذلك كثيراً جدًّا !

هل هذا خاص فقط بتوت عنخ آمون ، دون لعنة الفراعنة ؟

هل لصوص المقابر من الأجانب الذيـن ماتوا فى ظروف غامضة قد أصابهم التراب الذرى أو السم النباتى ؟

إذن كيف نفسر أنـه حيث توجد مـومياء فرعـونية فى أى مكان فلا بـد من كارثـة تحل بهذا المكان . . إن أعظم بـاخرة أنشأهـا الإنسان واسمهاتيتـانيك اصطدمت بجبل من الجليد وغرقت ، لأن بها مومياء فرعونية مسروقة ؟

ثم ما هذا الذى أصاب العلماء والأطباء المصريين الواحد وراء الآخر ؟

ثم ما الذى ينتظر الأطباء والعلماء المصريين والفرنسيين الذين فتحوا مومياء رمسيس الثانى فى مصر وفى باريس ليعرفوا أسباب وفاته ، وإن كان هو فرعون الذى أخرج اليهود من مصر ؟ .

ثم إن عـدداً كبيراً من العلماء يؤمـن بأن هنـاك شيئاً ما « فى داخـل الأهرام والمقابر الفرعونية جميعاً ، يضر بصحة الإنسان » . ولكن ما هو هذا « الشىء » لا أحد يعـرف . . إن خروتشيـف تلقى برقيـة من مـوسكو تحذره مـن دخول الهرم، ولم يدخل الهرم فى آخر لحظة . ولهذا السبب !

إن الفراعنـة لم تنته أسرارهم بعـد . إنهم تركوا الكثير فى كـل العلوم . إنهم اهتدوا إلى سر المادة وسر الكون . وفى استطاعتك أن تشبع رغبتك فى مزيد من المعرفة إذا رجعت إلى كتابين لى هما : الذيـن هبطوا من السماء والذين عادوا إلى السماء . . فقد عاودت منـاقشة هذه القضية الغريبة العجيبـة . وسوف تظل كـذلك إلى أن نعـرف لها تفسيراً علميـاً أو أكثـر من تفسير علمـى . المهـم أن تـدخل فى نطاق العلم الإنسانى

***

وفى نفس الـوقت الـذى يؤمن بعـض الباحثين بأن هنـاك قوة مـا ، خارج الإنسان تستطيـع أن تتسلط عليه . . أو توجهـه أو تحرك حياته ، فـإن عدداً آخـر يـرى أن القـوة هـذه فى أعماق الإنسـان . . ففـى داخـل الإنسـان كـل القوى . . بل إن الإنسان قادر على أن يجعل جسمـه أو عقله منيعاً لكل ما فى الـدنيا مـن توتـر . . وهـو قادر على أن يجعـل رأسـه محطة إذاعـة تتلقى كـل الأصوات فى هذا الكون ثم يعدلها لحسابه هـو . . فأنت أقوى جدًّا مما تتصور . وتستطيع أن تجرب ذلك . . .

فاللعنة الحقيقية إذن ألا نعرف ذلك . .

وفى نفس الوقت نجد اتجاهات دينية أمريكية تعود إلى قداسة الفراعنة . . وعبـادة الملك اخنـاتون . . أو أداء الصلـوات فى داخل الهرم . . أو النـوم فى داخل غرفة الملك خوفو ، واستحضار روحه . . وتكذيب ما يسميه المؤرخون باللعنة الفرعونية . .

ونظرية « آدم سميث » تقول : إن الإنسان هـو الهرم وهو الملك وهو الروح

الفرعونية القادرة على كل ما يريد الإنسان ، وكل ما اراد . .

وآراء واجتهادات كثيرة تساوى ما يبذله الإنسان فى فهمها أو محاولة ذلك إن الفراعنة لم تفسر كلماتهم بعد .

لقد ماتـوا ولكن لعنة التفكير فيهم وفى حيـاتهم وأثرها فى حياتنـا ، ما تزال قوية حية !

أنيس منصور

لعنة الفراعنة

لعنة الفراعنة: طبياً وكيميائياً ما معناها؟

هل هي اللعنة التي تطارد الناس ؟ أو هل هم الناس الذين يطاردون اللعنة ؟ احتار العلماء في تفسير هذه الظاهرة العجيبة . ولكن عالماً ألمانيا شاباً أعاد النظر في قضية هذا العصر وكل العصور ليفسر لنا بالعقل وبالطب والكيمياء كيف أن أربعين عالماً وباحثاً ماتوا قبل الأوان . . والسبب هو هذا الملك الشاب توت عنخ آمون .

إن هذا الملك ليست له أية قيمة تاريخية . ربما لأنه كان حاكماً تافهاً . . ربما لأنه كان في عصر ثورة مضادة على الملك الإله أخناتون أول من نادى بالتوحيد والذي تزوج ابنته . . ولكن من المؤكد أن هذا الملك الشاب قد استمد أهميته الكبرى من أن مقبرته لم يمسها أحد من اللصوص . . فوصلت إلينا عبر ٣٥ قرناً سالمة كاملة . . وأن هذا الملك أيضاً هو مصدر « اللعنة الفرعونية » . فكل الذين مسوه أو لمسوه طاردهم الموت واحداً بعد الآخر مسجلا بذلك أعجب وأغرب ما عرف الإنسان من أنواع العقاب . والشيء

الواضح هو أن هؤلاء الأربعين ماتوا . والشيء الغامض هو أن الموت لأسباب تافهة جدًّا ولظروف غير مفهومة . .

وكتاب « لعنة الفراعنة » للمؤلف الألماني فيليب فاندنبرج هو أحدث ما أصدرته المطبعة ، وأمتع وأجمل الأبحاث الدقيقة التي تروى مأساة « لعنة الفراعنة » على كل العلماء والباحثين . .

يقول المؤلف إنه في أحد الأيام جلس مع د . جمال محرز مدير الآثار في فندق عمر الخيام بالزمالك . وجاء الكلام عن لعنة الفراعنة فضحك د . محرز وهو يقول إنها شيء عجب . ولكنني لا أصدق شيئاً من ذلك

وسأله المؤلف : ولكن كيف تفسر عشرات الحوادث التي أذهلت الطب والكيمياء ورجال الآثار ورجال الدين .

وضحك العالم المصري وهو يقول : لا أصدق . أنظر ماذا جرى لي أنا شخصيًّا . لاشيء !

***

وفي ذلك الوقت كانت مصر تعد رحلة لتوت عنخ آمون إلى لندن ، احتفالاً بمرور خمسين عاماً على الاكتشاف الإنجليزي لمقبرته . وجاءت طائرتان حربيتان ونقلت مجوهرات الملك وتابوته . وكان مؤمناً عليها جميعاً بأكثر من خمسين مليوناً من الجنيهات . . وفجأة توفي د . جمال محرز عن ٥٢ عاماً . والتشخيص سكتة قلبية !

هذا الملك الكامل المقبرة والتابوت واللعنات قد حكم مصر تسع سنوات (١٣٥٨ ـ ١٣٤٩ ق . م) وقد كشف مقبرته اثنان من الإنجليز هما كارتر واللورد كارترفون . .

أو على الأصح اكتشفها هوارد كارتر بأموال اللورد كارترفون الذى توفى فجأة وفى ظروف غريبة عجيبة يوم ٥ أبريل سنة ١٩٢٢ بالقاهرة

* * *

هذا اللورد من الأغنياء . وكانت له حياة غريبة . فهو مغامر . . ومن أهم مغامراته أنه كان يحب الخيول ويركبها عارية وعارياً . . وكان أيضاً يقتنى عدداً كبيراً من السيارات ، أيام كانت لعبة سباق السيارات محرمة فى بريطانيا . ولذلك فقد كانت سياراته كلها من فرنسا . وفى إحدى رحلاته بألمانيا التفت السيارة حول نفسها وسقط هو والسائق . وتحطمت ذراعاه وكتفاه وساقاه وتشوه وجهه تماماً . . واقترب من السيارة بعض الناس فوجدوا اللورد مغمى عليه . . وألقوا على وجهه بالماء حتى أفاق ودخل المستشفى وجفف جروحه ودموعه . ولكن ضيقاً فى صدره ظل يخنقه مدى الحياة . . ولذلك كان يهرب من برودة بريطانيا إلى دفء الجنوب . واتجه إلى مصر سنة ١٩٠٣ .

* * *

وفى ذلك الوقت كانت أعمال الحفر والتنقيب من أهم موضات العصر . وفى القاهرة قابله العالم الأثرى جاستون ماسبير و مدير المتحف المصرى . وقدمه لرجل التنقيب الإنجليزى هوارد كارتر . وكارتر كان مهتماً بالآثار ورساماً أيضاً ويعيش فى مصر منذ سنة ١٨٩٠ . وكانت له حفائر فى وادى الملوك لحساب بعض الأغنياء الأمريكان . . وقد صدر له كتاب بعنوان «خمس سنوات من الاكتشافات فى طيبة » . وكان لدى كارتر هذا إيمان قاطع بأن هناك قبراً خفياً . . هذا مجرد شعور ولكن ليس لديه أى دليل علمى على صدق هذا الإحساس الداخلى . .

وقد عثر كارتر على أدوات وأشياء صغيرة تؤكد له أنه يقترب بسرعة من شىء كبير . . أو على حد تعبيره هو : أننى كالذى يرى طيور الشاطئ . . الطيور واضحة ولكن الشاطئ ليس واضحاً . . أو كالذى يرى أغصاناً عائمة تؤكد له أنه يقترب من غابة هائلة .

لقد تأكد لدى كارتر أن شيئاً خطيراً سوف يتكشف أمامه . وبدأت ست سنوات من العذاب والعرق واليأس . ويوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ أبرق كارتر إلى اللورد يقول له : أخيراً . . اكتشفت شيئاً رائعاً فى وادى الملوك وقد أسدلت الغطاء على الأبواب والسرداب حتى تجىء أنت بنفسك لترى .

وجاء اللورد إلى الأقصر يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٢ وكانت ترافقه ابنته . وتقدم كارتر وحطم الأختام والأبواب . الواحد بعد الآخر . . حتى كانا على مسافة صغيرة من غرفة دفن الملك توت عنخ آمون . وأمتدت يده وأحدث فى الحائط فتحة . وأطل وخرج الهواء يحرك الشموع . . هواء ينطلق لأول مرة منذ ٥٣ قرناً . وفى صوت هامس مرتعش سأله اللورد : ما الذى تراه ؟

وأجاب كارتر الذى أدخل رأسه فى الفتحة الصغيرة : مالم تره عين منذ دفن الملك .

وأتوا للمقبرة بباب حديد من القاهرة . وبدأ كارتر يرسم كل شىء . ويصوره بمنتهى الدقة . وتطوع متحف نيويورك وأرسل له عدداً من المصورين والرسامين والباحثين وعلماء اللغات والأطباء مساهمة فى هذا الحدث الجليل .

ومن المؤكد أن اللصوص قد امتدت أيديهم إلى المقبرة . ولكن لم يفلحوا فى أن يبلغوا غرفة الملك . ولأسباب غير واضحة انصرفوا عنها . . أو طاردتهم المخاوف أو اللعنات . . فتركوا المكان كله إلى أن يكتشفه كارتر وتتبناه

صحيفة التيمس البريطانية منذ ذلك الوقت .

***

واهتزت الدنيا لهذا الكشف الرائع . وجاءت ألوف الخطابات إلى المكتشف كارتر . . ومنهـا خطابات تؤكـد أن له أسرة عظيمة فى أمريكـا . . وأن هناك أدلة علميـة بذلك . . وجـاءت خطابات تطلـب منه أن يبعث ببعـض تراب المقبرة إلى المعجبين والعشاق والمؤمنين فى أوربا وأستراليا . .

وبرغم هذه الحفاوة من كل مكان ومـن كل الناس فإن شيئاً فى قلب كارتر يوجعـه . ولا يستطيع أن يطلـع أحداً عليه . . فقـد وجد على أحـد الأبواب عبارة تقول أو تقول له : «سوف يطوى الموت بجناحيه كل من يقلق الملك » !

ولم يكد كارتر يرى هذه العبارة حتى انزعج . ولكن الحدث الجليل والكنز الدفين والشهرة والذهب ، شغلت الرجـل عن هذا الإنذار المخيف . فالتقط للعبارة صورة . ثم مسحهـا بيديه . . فهو الوحيد الـذى رأى والذى خاف . وهو الذى أخفاها عن عيون العمال والمسـاعدين المصريين حتى لا يتوقفوا عن الحفر . .

وقد عثر مرة ثانية على تحذير آخر منقوش على ظهر تمثال يقول : « أنا الذى أطرد لصـوص المقبرة وألقى بهم فى جهنـم هذه الصحراء . أننـى حامـى توت عنخ آمون . »

شىء عجيب . تحذيران من مقبرة واحـدة . ولعنة سوف تحيق بمن يقترب ويقلق الملك . أو يذهب إلى أبعد من تحريكه فى نومته . .

إن « اللعنات » ليست كثيرة فى أدب الفراعنة . . إنها ليسـت كالمطر الذى

يتساقط على رأس من يقرأ التوراة . إن قـارئ التوراة لا يستطيع أن يرفـع رأسه من كثرة اللعنات التى تهبط عليه من مكان وعلى كل لسان . .

وإنما هناك لعنات قليلة فى مناسبات معروفة . مثلا : تحتمس الأول عندما ألقى خطاب العرش وهو يتوج ابنته الملكة حتشبسوت قال : الموت لمن يلعن . الملك . . اللعنة على من يلعن الملك !

ومرة أخرى عندما تآمرت زوجـات رمسيس الثالث قال : اللعنة عليهن . لقد أردن قتلى . ولكننى سوف أقتلهن جميعاً فهن أعداء الإله .

***

كما أن المستكشف انجلباخ قد عثر فى إحدى المقابر بالقرب من هرم ميدوم على نقش يقول : سوف تخنق روح الميت عنق اللص كما لو كان أوزه !

وعثر هـذا المكتشف على جثتين فى مقبرة واحـدة : جثة محنطـة . والأخرى ليست كذلـك . أما التى ليست محنطـة فهى لأحد اللصوص الـذى تسلل إلى المقبرة فسقطت عليه حجرة قتلته !

ويوم افتتـاح المقبرة كان المفروض أن يشهـد ذلك ثـلاثة عشر من الـرجال ولكن الذين حضروا كانوا اثنين وعشرين . ومن العجيب أن الثلاثة عشر رجلا الذيـن دعاهم كـارتر لهذه المناسبـة قد ماتـوا الواحد وراء الآخـر ، وفى ظروف غامضة تماماً .

أما اللورد كارترفون فقد أصابتـه حمى مفاجئة . وقال الأطباء إن السبب هو أن فى وجهه جروحاً قديمة . . وقد أسال دماءه وهو يحلق لحيته . مما أدى إلى أن يصـاب بـالحمـى . وهو تفسير سـاذج . وكـان اللـورد يصرخ : النـار فى

جسمى . . أو عندما يصاب بهذيان فيقول : إننى أرى أناساً يدحرجوننى على رمال الصحراء ويعصرون النار فى فمى . .

وجاء ابنه من الهند ليزوره وقد تمدد طريحاً فى فندق كونتننتال بالقاهرة . وجاءت الممرضة فى الساعة الثانية إلا عشر دقائق تهز رأسها فسألها : مات ؟

وهزت رأسها تؤكد ذلك . وذهب الابن ليرى أباه . وانقطع التيار فى الفندق . وفى مدينة القاهرة كلها . وفى اليوم التالى حاول أحد أن يجد تفسيراً لانقطاع التيار ولكن لا يوجد أى سبب معقول . . وفى نفس اللحظة وفى مدينة لندن صحا أهل بيت اللورد على الكلب الوحيد يعوى ويصرخ . . ثم يقفز إلى سرير اللورد جثة هامدة !

وعندما تزاحم أهل البيت يرون ما الذى أصاب الكلب سقطت منضدة ضخمة على القطة السوداء التى يتفاءلون بها فماتت فى لحظة واحدة !

وبعد ذلك مات وارتر ميسى الذى بعث به المتحف الأمريكى وكان يعاون كارتر فى الحفر . وجاءت وفاته نوعاً من الاحتراق الشديد . . ارتفعت درجة حرارته حتى أحس أن رأسه قد انفجر . . أو أن شيئاً انفجر فيه . وكان بعد وفاة اللورد بأيام !

وجاء المليونير الأمريكى جاى جولد ليرى مقبرة توت غنخ آمون . وأطل برأسه . وعاد إلى القاهرة ليموت فى الفندق فى نفس الليلة !

ومليونير أمريكى جاء وتفرج واسمه جيل ول . وأثناء عودته توفى فى الباخرة!

أما طبيب الأشعة أرشيبالد رون الذى قطع خيوط التابوت ليصور جثة

الملك فقد أصابته الحمى وتوفى فى لندن بعد أيام !

وحتى سنة ١٩٢٩ كان الثلاثة عشر شخصاً الذين دعوا ليوم الافتتاح قد ماتوا جميعاً .

وزوجة اللورد توفيت سنة ١٩٢٩ . . والسبب : أن حشرة غريبة جداً قد لسعتها !

أما سكرتير كارتر فقد توفى أيضاً فى نفس اليوم . ولما علم أبو السكرتير أنه قد مات ، قفز من الدور السابع ومات هو أيضاً ! وأثناء سير الجنازة تسلل طفل صغير بين أقدام المشيعين ولم يره أحد ، فداسوه ومات !

ولكن بالضبط ما هذا الذى حدث ؟

هل هناك « لعنة » حقيقية ؟ وما معنى كلمة « لعنة » ؟ . .

هل هى تعويذة سحرية . . هل هناك حروف يمكن تسليطها على الناس؟ هل للحروف قوة على الأشياء والناس ؟ هل للحروف « خدام » كما يقول رجال الدين وعلماء الروح ؟ هل هؤلاء الخدام قوة غير إنسانية . . قوة شيطانية؟

هل هناك سموم قد أودعها المصريون مقابرهم . . هذه السموم على شكل هواء قاتل . . أو على شكل تراب . . أو أن هناك معادن لها إشعاع مميت . . هل هناك طفيليات على جثث الموتى التى إذا لمسها الإنسان مات . . ماهو بالضبط ــ ومن الناحية العلمية الطبية الكيميائية السحرية ـ المقصود باللعنة الفرعونية ؟

إن ملوك مصر الفرعونية هم آلهتها أيضاً . وهم الآلهة لأن لديهم عدداً كبيراً من العلماء . والعلماء فى خدمة الملوك . ولذلك يظهر الملك أمام الشعب

يعـرف مواعيـد المطر والفيضـان . . ويعلن للنـاس ذلك . ويكـون صادقـاً ولايقول النـاس إن الملك عالم ، وإنما يقولـون إنه إله . . لأنه عـلام الغيوب ، وغـارس الحبـوب ، وكـاشـف الكروب ، وقـاهـر الحروب . . وكـان الكهنـة والأطباء والعلماء المصريون يعرفون الكثير جدًّا فى الطب والفلك والكيمياء . . بل إن علمهم هو الذى لايزال يحير العلـم الحديث . . فليس عجباً أن يهتدى علماء مصر إلى أشياء لانفهمها حتى اليوم . . وليست اللعنة إلا شيئاً متواضعاً جدًّا إذا قورن بما عرفه المصريون من ألوف السنين ، ولم نعرفه إلا أخيراً . .

وسوف نرى ما الذى يقوله العلم الحديث جدًّا فى العلوم القديمة جدًّا . .

أشعـــة المـــوت
يطلقونها علـى رواد القبـور

لو أن رصاصة انطلقت من مصدر مجهول فأصابت عشرين عصفوراً فى وقت واحد وماتوا فما تفسير ذلك ؟ ماذا تقـول إذا كانت الرصـاصة قد انطلقت مـن ألوف السنين ثم أصابت عدداً من العصافير فى أماكن مختلفة وفى أوقات مختلفة ؟ ألا ترى أن هذا شىء عجيب ؟

لهذا كانـت لعنة الفراعنـة من عجـائب الآثار والعلوم والطبيعـة والكيمياء والطب والسحر . . .

وأمام هذا الشىء الغريب : إما أن نقول إن الذى حدث مجرد مصادفة . . وإما أن نقـول لابد أن هناك سببـا آخر لا نعرفه وهـذا هو الأصعب لأننـا بعد ذلـك يجب أن نفسر بالعقـل والعلـم معنى هـذا الـذى حدث ، ويمكـن أن يحدث مستقبلا . .

والمصادفة معناها : أن يموت شخصان فى وقت واحد لسبب غير واضح . وفى حياتنا اليومية أنواع كثيرة من المصادفات .

ولكن العقل الإنسـانى يحاول أن يربط الأحداث بعضهـا ببعض ليصل إلى نتيجة هى : أن كل شىء له سبب . .

ومن أقـدم العصور نظر الفراعنـة والبابليون إلى السماء . ولم يرفعـوا أعينهم عن النجوم ومساراتها . وسجلوا المتحرك منها والثـابت . ورسم الفراعنة « قبة

السماء » أو « الهيئة الفلكية » . وكذلك فعل البـابليون . والفراعنة هم أول من أدرك أن هناك علاقة بين النجوم فى السماء والحياة على الأرض . فقد لاحظوا أن نجمة « الشعرى اليمانية » إذا ظهرت فى الأفق ، كان هذا هو موسم الفيضان . وكان علماء مصر الفـرعونية يهمسـون بهذه الملاحظات للملوك . فيـزف الملوك هذه البشرى للشعـب . ويزداد إيمان الشعب بألـوهية الملك الذى يعـرف كل شىء . . .

فليسـت صدفـة أن يجىء الفيضان مـع ظهور هـذه النجمة أو غيرهـا . . وليس صـدفة أن يكون للنجوم أثـرها على الإنسـان . . أو على حياة الإنسـان ونحن الآن قد وصلنا إلى القمر ونعـرف أثر القمر على المد والجزر والعواصف . وأحدث مـا اهتدى إليه الإنسان هـو أن لمدار القمر أثراً فى ظهـور الزلازل على الأرض .

فهناك علاقة ما بين النجوم وبين الأرض ، وبين النجوم والحياة على الأرض أو حياة الإنسـان . وإن لم يكن واضحاً ما للقمـر من أثر على الإنسـان وحياة الإنسان . . أو حظ الإنسان فى الصحة والعمل والحب والزواج والأولاد .

ولكن بعض الأطباء لهم اجتهادات أخرى . فالطبيب الألمانى فلهلم فليس له نظرية تقول : إن كل إنسان لـه « دورة شهرية » . . فى هذه الدورة تكون له قوة جسمية وعاطفية وعقلية . . وهـذه الدورة لها أول وقمة وآخر . . فـالدورة الجسمية طولها ٢٣ يومـاً والدورة العاطفية طولها ٢٢ يومـاً . والدورة العقلية طولها ٣٣ يوماً . .

وكثيراً ما تـلاقت الـدورات الحيوية بين بعـض الناس ، فيتصرفـون بصورة متشابهة وهناك حادثة مشهورة . فقد توفيت نجمة سينمائية ألمانية هى وزوجها

فى حادث سيارة يوم ٢ أكتوبر سنة ١٩٧٠ وعنـدما راجع الأطباء تاريخ ميلاد الـزوجين وجدوا أن حـادث الـوفاة قـد وقـع عنـدما كـانـت الدورة الجسميـة والعاطفيـة عند الزوجين فى أحط درجـاتها . . ومعنى ذلك أنهما تصرفـا بصورة متشـابهة فى ذلـك اليـوم . . وربما كـان التصرف هـو الـرغبـة فى الموت . . أو الانتحار . .

أى أن هناك نوعاً من « الإيحاء الـذاتى » لكل منهما . هذا الإيحاء معناه ان لدى كل منهما رغبة فى أن يموت . .

وفى سنـة ١٩٧٣ سقطت ١٥٦ طـائرة مقـاتلة نفـاثـة صنعـت فى أمريكـا ويقـودها طيـارون ألمان . وراح ضحيتهـا ٢٣ طياراً . وقـد أثبتـت التحاليـل لظروف الوفـاة ، أن ١٣ من هؤلاء الطياريـن كانت دورتهم الشهريـة منخفضة جدًا .

وفى اليابان يعرفون نظام « الدورة الحيوية » لسائقى التاكسى . ولذلك فقد قرر كوكوسـاى صاحب أكبر عدد من التاكسيـات أن يعطى السائق إجازة إذا كانت دورته الحيوية منخفضة . . وقد لاحظت سلطات الأمن اليابانية أن هذا قد أدى إلى نقص هائل فى حوادث السيارات . .

وفى سويسرا اتبعوا هذا النظام فى مدينـة زيورخ أيضاً . ولذلك يكتبون على سيارة التـاكسى أن السـائق قد اقترب مـن الهبوط أو تجاوزه بقليـل . وفى ذلك تحذيـر للسـائق نفسه وللـركـاب والسيـارات الأخرى . والنتيجـة أن حـوادث السيارات قد هبطت إلى النصف !

وهذه كلهـا محاولات لتفسير ما يحدث لبعض الناس فى ظـروف متشابهة .

والسبب هو شيء ما في داخل الإنسان ، جسم الإنسان أو وظائفه أو أعصابه؟

ونعود مرة أخرى نتساءل : كيف أن عددا من الناس لهم اهتمامات متشابهة تقع لهم نفس الأحداث . . كما أصيب بلعنة الفراعنة عدد من العلماء والباحثين أي الذين يهتمون بالحفر والتنقيب . .

في حياتنا اليومية أدلة كثيرة على ذلك ، مثلا : ؛ حدث عندما كان أحد أساتذة الطبيعة يلقي محاضرة في جامعة فيينا عن المواد المشعة أن توفي العالم الفرنسي بيير كوري مكتشف الراديوم المشع . وقد مات كوري هذا تحت عجلة إحدى السيارات . . .

ونفس الأستاذ الجامعي تحدث بلا مبرر واضح عن عالم الطبيعة النمساوي بولتسمان . ولم يكد الأستاذ يفرغ من محاضراته حتى جاءه من يقول إن العالم النمساوي قد انتحر !

هل هناك ترابط بين الذين لهم اهتمام واحد ؟

لقد أجرى العلماء تجربة على اثنين من المشتغلين بالرياضيات ، ووضعوا كل واحد منهما في غرفة منفصلة . وأجلسا كلا منهما أمام جهاز رسم المخ . وأعطوا لواحد منهما مسألة حسابية ليقوم بحلها . وكانت المفاجأة : لقد سجل جهاز رسم المخ نفس الخطوط البيانية للاثنين . . أي نفس الخطوط لمن يحل مسألة حسابية ولمن لا يحلها !

* * *

إن هناك حادثة معروفة في كل كتب علم النفس وهي أن أمًّا قامت من

نومها على صوت طرقات على الباب . ووجدت الباب منفحتاً وخيل إليها أنها ترى الجليد يزحف على الباب وأن هناك نعشاً فى الجليد . وأن فى هذا النعش ابنها . وفزعت الأم . وراحت توقظ زوجة ابنها تروى لها هذا الحلم أو هذه «الرؤيا» . . وفى الصباح تلقت رسالة من الجبهة من أحد زملاء ابنها يقول لها : أن شظية أصابت ابنها . ولكنه دخل المستشفى . ونزعوا الشظية من صدره . ثم أغارت الطائرات عليهم . فاحتموا فى أحد الخنادق . وفجأة تساقطت القنابل . وأهالت عليهم الجليد . وسمع ابنها يصرخ قبل أن يموت يقول : ؛ ياماما . !

وكارثة الطيران فى ألمانيا سنة ٧٢ التى راح ضحيتها ١٥٦ من الركاب . . فى هذا اليوم أحس قائد الطائرة أنه ثقيل النفس . فاعتذر عن الرحلة . أما السيدة التى تقود الأتوبيس الذى ينقل المسافرين إلى المطار ، فقد توقفت وصرخت . ولم تفهم لذلك سببا . كما أن زوجة وزوجها بعد أن ركبا الطائرة نزلا منها . !

فهل يمكن أن يقال إن هناك طرازاً خاصاً من الناس لديه هذا الإحساس بالموت ؟

إن العالم كله يعرف السيدة الأمريكية جين ديكسون . فهى التى تنبأت فى سنة ١٩٥٢ بأوصاف رئيس الجمهورية الأمريكية الجديد . .

وهى أيضاً التى تنبأت باغتيال الزعيم الهندى غاندى . ووفاة همرشولد سكرتير الأمم المتحدة . . وانتحار مارلين مونرو . .

وفى يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣ كانت تتناول طعام الإفطار مع صديقاتها . وفجأة توقفت عن الطعام والشراب . وقالت : إن شيئاً مروعاً سوف يقع

للرئيس كنيدى . . سيقتله واحد أول حرف فى اسمه : ألف وآخر حرف : دال . . واغتيل كيندى فى ذلك اليوم وقاتله اسمه : أوزوالد !

* * *

وهناك اجتهادات أخرى تقول : إن الأرض والمواد لها طاقة . وهذه الطاقة يمكن مضاعفتها وتوجيهها .

ففى معظم العواصم الأوربية شوارع تقع فيها الحوادث . هذه الشوارع معروفة باسم شوارع الموت . ففى ألمانيا شارع معروف . ومكان محدد من هذا الشارع تقع فيه الحوادث بانتظام . ولذلك فهم يحذرون الناس من السير بسرعة أو الانحراف بشدة . . تماماً كما يحدث عند مدينة دمنهور أو قبلها أو بعدها . . فمعظم حوادث الطريق الزراعى تقع عندها . ولذلك فيمكن أن يقال إن هناك « لعنة دمنهور » .

وقد اهتدى العلماء إلى أن من هذه المناطق القاتلة تنطلق طاقة زائدة تؤدى إلى خلل فى الموتورات أو فى السائقين .

وهناك الحادثة المشهورة للعالم الإنجليزى بول بريتون الذى حبس نفسه فى غرفة الملك خوفو ليلة كاملة . وفى الصباح روى للعالم أنه رأى أشباحاً . وأنه رأى جنازة هائلة ، وكان هو الميت . . وأن الذى رآه والذى سمعه والذى أحس به يشبه تماما ما يشعر به الذين يتعاطون عقاقير الهلوسة . . وكادت أنفاسه تختنق حتى الموت . فما هذا الذى أصابه ! وما تفسيره علميا !

فى سنة ١٩٥٩ اهتدى أحد العلماء واسمه درابل إلى أن « الشكل الهرمى » له أثر كبير على تحنيط الجثث . إن الشكل الهرمى يساعد على ذلك . بل إن

هذا العالم درابـل قد جرب وضع السمك فى داخل الأجسـام الهرمية الشكل فلاحظ أن وزنها قد نقص بعد ١٣ يومـاً . . وعندما وضع البيض لمدة ٤٣ يو نقـص وزنه مـن ٥٢ جـرامـا إلى ١٢ جرامـا . حتـى السمـك لم تظهر لـه أي رائحة . .

أكثر من ذلك أنه استخدم الشكل الهرمى فى « تحديد » أمواس الحلاقة . أى جعلها حادة إذا وضعها لمدة أسبوع . .

فهل الفراعنة يعرفون هذه الخصائص كلها ؟

من المؤكـد أنهم يعرفون الكثير عـن مزايا الشكل الهرمـى بالنسبة لـلأجسـ الإنسانية . . بالنسبـة للموتى والاحياء أيضا . وهناك نظـريات كثيرة تؤكد أ الفراعنـة استخدموا الهرم لتسليط الأشعـة على المزارع . وقالوا أنهم استخـدم السطح اللامع للهرم ليعكسوا أشعة الشمس على السحب فأسقطوا المطر !

فهـل استطـاع الفـراعنـة أن يسلطوا قـوى وطـاقـات أخـرى على الأحيـ والأموات ؟ . هـل هذا هو التفسير الممكـن للعنة الفراعنـة التى أصابـت كـ الذيـن حامـوا وداروا حول تـوت عنخ آمـون ، أو الذيـن لمسوه أو شمـوا هو قبره؟ . هل استطاع الفراعنة أن يطلقـوا « طاقة الموت » أو أشعة الموت على كـ الذين دخلوا مقابرهم أو معابدهم أو قبورهم أو قلبوا جثث موتاهم ؟

إن التاريخ القـديم يؤكد لنـا أن الفراعنة كانـوا على علم عظيم بما يجرى فـ الكون بين السماء والأرض . . وأثر المادة على الناس . . وأثر أمزجة الناس علـ الناس . . وأنهم عـرفوا دورة الحياة أو طـاقة الحياة . . وسحـر الحياة . . وأنهـ عرفـوا النظام الذى يحكـم الكون بما فيه الكـواكب والنجوم والنبـات والحيوا والإنسان .

إن عددا كبيرا من عباقرة الإغريق والرومان جاءوا إلى مصر يتعلمون : جاء الشاعر هوميروس وجاء الحالم أورفيوس ، وجاء المؤرخ هيرودوت والأديب بوربيدس والمشرع سولور والرياضي آرشميدس . وقد سجل الفيلسوف العظيم أفلاطون عظمة الفراعنة فى واحد من كتبه اسمه « تيماروس » . وجاء على ألسنة أحد كهنة مصر وهو يحدث رجل التشريع والحكم والحكمة سولون وهو يقول ، أنتم أطفال إذا ما قورنتم بما لدى المصريين من علم . . أنتم أضعتم علمكم . ولكن المصريين احتفظوا بالعلم والحكمة فى المعابد والمقابر . وأنتم مضطرون إلى أن تبحثوا من جديد دائماً . . ولكن المصريين لديهم علم متصل وحكمة موفورة . . وهذه الحكمة كالنهر تفيض دائماً بالنور والحياة والخير والسلام . .

فليس مستحيلا أن يعرف الفراعنة كل ذلك عن خواص المادة وأشكالها وعن مصادر الطاقة وتوجيهها . . وأن يموتوا ومعهم الكثير من العلم . .

* * *

ولكن ماتزال هناك ألغاز يجب أن نجد لها حلا . .

أن الأثرى المصرى د . على الخولى قد دخل دورة المياه فوجد العالم الكبير ايمرى قد أصيب بالشلل ويصرخ والتمثال فى يده . ويسقط ميتاً .

إنها نفس مأساة العالم الفرنسى شامبوليون الذى قرأ حجر رشيد ، وهى أيضا نفس الطريقة التى مات بها الطبيب الألمانى الذى اكتشف دودة البلهارسيا فى مصر ـ كما سنرى !

لابد أنهم عرفوا مساحيق الهلوسة

أحد العلماء السويسريين كان يقوم بتجارب على بعض العقاقير . . وبعد ساعات وجدوه يبكى ويضحك ويقف على رأسه . . ثم يتشقلب . . ثم ينشر ذراعيه كأنه يطير فى السماء ، ويكشف عن ساقيه كأنه يخوض فى الماء . . وكان ذلك سلوكاً غريباً من عالم وقور . . فما الذى أصابه ؟

كل ما حدث هو أن واحداً على مليون من الجرام من مادة كان يقوم بتركيبها قد علق بأصابعه . . ولمست أصابعه شفتيه . . فكانت هذه الهلوسة . . ومن يومها والعالم يعرف هذا العقار الرهيب الذى اسمه : ل . س . د . . فهل لعنة الفراعنة شىء من ذلك !

من المؤكد علميًّا وتاريخيًّا أن الفراعنة كانوا يعرفون العقاقير . وكانوا قادرين على خلطها وتركيبها واستخدامها . . والطب الحديث يقول لنا إن بعض مساحيق الهلوسة ممكن أن تحدث أثرها عن طريق الفم والأنف . . وأحدث

اكتشافات الهلوسة عن طريق ذرات هذه العقاقير إذا دخلت العين . .

* * *

نعود إلى ما حدث يوم ١٠ مارس سنة ١٩٧١ عند قرية سقارة . كان يوماً دافئاً . وكان العمال يحفرون الأرض وعلى وجوههم وملابسهم آثار الرمال والارهاق وعذاب السنين ، ومرارة العيش ، أما العالم الإنجليزى والمشرف على الحفائر فى هذه المنطقة وأستاذ علم المصريات فقد ظهر أشد إرهاقاً من الجميع . ولكنه حمل فى يديه شيئاً صغيراً : تمثال الملك أوزيريس . وهو يقلب التمثال . ثم اتجه إلى مكتبه ومن ورائه مشى مساعده على الخولى . ودخل إيمرى الحمام يغتسل . وفجأة صرخ الرجل وراح يموء كالهرة ثم ينبح كالكلب ثم يعوى كالذئب . . وسارع على الخولى ليرى ما الذى أصاب الرجل . . لقد سقط العالم الكبير ! .

وجاءت عربة إسعاف ونقلته إلى المستشفى . والتف حوله الأطباء وكان تشخيصهم : شللا نصفيًّا . ولم ينطق الرجل بكلمة . وإنما راح يحاول أن يقول شيئاً . وظلت زوجته إلى جواره طول الليل . ويوم ١١ مارس كان قد مات !

ومن العجيب أن الأستاذ ايمرى لم يكن يؤمن بلعنة الفراعنة . وكان إذا حدثه أحد عن ذلك راح يضحك .

أما صلة الأستاذ إيمرى بالآثار فقديمة . إنه كان مهندساً بحريًّا . ثم جاء إلى مصر فى العشرينيات ثم عاد إليها فى الثلاثينيات وراح يقلب فى الأرض . وينبش . وعثر على عشرات من المقابر . ولكن فجأة وجد أن حلم حياته هو

أن يعثر على مقبرة أمنحتب ذلك الحكيم الفيلسوف المهندس المعمارى الفلكى . . فقد كان هذا الطبيب عبقريًا ، لأنه عرف الأمراض والعقاقير . وقد جعله الناس إلها . ويقال إنه هو أيضاً الذى اخترع التقويم الفلكى ويقال أنه هو الذى اخترع الكتابة . ومن المؤكد أن رجلا على هذا القدر العظيم من العلم ، لايمكن أن يهتدى أحد إلى قبره بهذه السهولة . ولكن الفكرة تسلطت على العالم الانجليزى . . ولابد أن اكتشاف مقبرة هذا الرجل ستكون له نفس أهمية اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون وربما كانت لعناته أشد وأعنف من لعنات الملك الصغير توت عنخ آمون . من يدرى ؟

واهتدى الأستاذ ايمرى إلى مقابر وسراديب . . ووجد لوحات ونقوشاً . وأيقن أنه فى الطريق إلى مقبرة أمنحتب وربط العمال بالحبال حتى لايضلوا. تماما كما فعلت الفتاة الأسطورية أريان عندما أدلت بالحبال إلى حبيبها فى قصر التيه فى جزيرة كريت ، لعله يقدر على الخروج من محنته فى ذلك القصر . . ولكن العالم الكبير لم يهتد إلى شىء . . وبعد هذا الفشل الكبير بدأت تظهر عليه حالات من الهذيان الغريب . . حتى انتهى ذلك بالموت ! .

* * *

وهذه الحالة من الهذيان والهلوسة قد أصابت عدداً كبيراً من العلماء قبله وبعده . فمثلا العالم : يوهاتس دميتش الذى ولد سنة ١٨٣٣ وجاء إلى الصعيد والنوبة . ونقل مئات النقوش على الجدران . وحاول فهمها وتفسيرها . وأمضى من عمره سنوات طوالا . هذا الرجل أصيب بحالة من الهذيان المستمر . وقد شخص العلماء حالته الغريبة : بأنها نوع من انفصام الشخصية أو ازدواجها . وحاول أن يؤلف كتاباً . ودفع له الناشرون ثمن

الكتاب مقدماً . وجلس وكتب ٣٥٠ صفحة لم يستطع أحد أن يفهم منها عبارة واحدة .

ولا يستبعد العلماء أن هذا الباحث قد لمست أصابعه النقوش ساعات طويلة . وانتقلت أصابعه إلى وجهه وإلى شفتيه ، أو إذا لم تلمس أصابعه شفتيه ـ وهذا مستحيل ـ فقد انتقل غبار القبور إلى أنفه أو عينيه . . فأصيب بهذه الهلوسة المستمرة ! .

* * *

وعالم أثرى آخر اسمه هينريش بروجش (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤) لقى نفس النهاية بعد زياراته لمصر . وبعد دراساته فى المقابر ونومه فيها . لقد وجده الناس يمشى عارياً فى الشارع وقد وضع على رأسه تاجاً من الورق يشبه تاج الملك مينا . . ثم مات مشلولا !

أما مأساة العالم الفرنسى الشاب شامبوليون (١٧٩٠ ــ ١٨٣٢) فهى من أعجب ما عرف الإنسان . فهذا العبقرى الفرنسى قد تنبأ الفلكيون بمستقبله قبل أن يولد . فقد قال أحد الفلكيين لأبيه : سوف يكون لك ابن هو (نور الحضارة الإنسانية) . أما الأب فرجل يبيع الكتب . وقد فتح شامبوليون الصغير يديه وعينيه على الكتب الضخمة . وخصوصاً (الكتاب المقدس) . فعندما كان شامبوليون طفلاً فى الخامسة من عمره كان يحفظ صفحات كاملة من الإنجيل قبل أن يعرف القراءة والكتابة . وأشفق الأب على ابنه ، فأبعده عن الكتب . فسرقها الطفل وأعطاها لأمه وللجيران لكى يقرأوا له . . أما أخوه الأكبر فقد كان مهتماً بالآثار المصرية . وتمنى لو أن نابليون قد أخذه معه إلى مصر . ولكن نابليون لم يفعل . فانصرف الأخ الأكبر إلى التجارة . ولكن حزنه

عميق . وفى يـوم اشترى نسخة من مجلة تصـدرها الحملة الفـرنسية فى مصر ، وفى هذه المجلـة سطور تقول : إن الحملـة الفرنسيـة قد اكتشفت حجـرا عند رشيد . والحجـر مكتوب بثلاث لغات : الهيروغليفيـة والقبطية واليونـانية . . وبعث لأخيـه بهذه المجلة وكـان شامبـوليون الصغير فى التـاسعة مـن عمره ، وأرسل الأخ الأكبر خطابا لأخيه الصغير يقول لـه : لعلك تنجح حيث فشلت أنا !

وحاول الطفل فك رموز هذا الحجر وظل عاكفاً على هذه المعضلة اللغوية التاريخية واحداً وعشرين عاما ! .

وفى سنـة ١٨٠٧ راح يـدرس اللغـة القبطيـة . . واهتـدى إلى أن النـص اليـونـانـى المنقـوش على الحجـر يضم ٤٨٦ كلمـة يـونـانيـة و ١٤١٩ كلمـة هيروغليفية . .

وطلب شامبوليون عشرات من النقـوش الموجودة على المسلات الفرعونية فى عصور محددة . لعلـه عن طريـق معرفة اسم (كليـوباترة) أن يهتـدى إلى بقية حروف الهجاء .

وفى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٢ اهتدى إلى اسمين آخـرين هما : رمسيس وتحتمـس . ثم راح يضـع أمامـه تفسير الحروف والكلمات كلها . . . وإذا بـه يقف على المنضدة صارخاً : وجدتها : وجدتها !

ثم يسقط على الأرض فى حالة إغماء لمدة خمسة أيـام . وبعد أن أفاق سافر إلى مصر على رأس بعثة أثرية ليتحقق من هذا الاكتشاف العظيم الذى اهتدى إليه . وعند عودته من مصر أصيب شامبـوليون بالشلل . وبعد ذلك بالهذيان

التام . . وبالإغماء الطويل ليموت وهو لم يكمل بعد ، الثانيةوالأربعين !

وقصة الأثرى الإيطالى بلتسونى (١٧٧٨ ــ ١٨٢٣) من هذا النوع أيضاً إنه شاب مغامر . أبـوه حلاق . ولم يترك عملا لم يساهم فيه : كـان ممثلا ومطرباً ومهندسًا وأثريًّا ومخترعاً ونصاباً ومقامرًا ومكتشفاً . عاش فى إنجلترا ثم سحرته الآثار المصرية فجاء إلى مصر . واقترح على محمد على باشا أن يدخل تعديلات هندسية على السواقى ومضخات المياه . ولكـن محمد على لم يأخذ بوجهة نظره . . وسافر إلى الصعيد والنوبة . . وراح ينبـش المقابر . وهو الذى اهتدى إلى مقبرة الملك سيتى الأول . كما أنه شحن إلى أوربا الكثير من الآثار المصرية التى اهتدى إليهـا وهربها . وأقام لها معارض مشهـورة فى أوربا وكسب مـن ورائها مئات الألوف . .

وفى مذكراتـه يروى إحدى لياليـه تحت الأرض : « كان الدهليز طـويلا . وكانـت تتساقط فوق رأسـى أشكال وألوان وأحجام مـن الأذرع والسيقان . . وكـان التراب يملأ أنفـى . وكنـت أعطـس وأسعل وأذرف الـدمـوع . . وفى إحدى المرات كدت أختنق . . وفجأة وجدت أمامى أشباحاً عجيبة . ولم أكن فى حالة من الخوف . وظننت أن للدهليز باباً آخر . وخيل إلىّ أن الذين أراهم بـوضـوح أمامـى هـم بعـض العمال المصريين . . لـولا أن وجوههـم لم تكـن واضحة» . .

وفى آخر رحلاته إلى غرب أفريقيا ركب إحدى السفن . . وكان الموج عالياً وكان الهواء عـاصفاً والشمـس حارقة . . فـأصابته الحمـى ومعها الهذيـان ثم انتهى ذلك بالشلل النصفى وتوفى يوم ٣ ديسمبر سنة ١٨٢٣ عن ٤٤ عاما !

أما الطبيب الألمانى بلهارس ، الذى اكتشف البلهارسيا فى مصر فقد توفى

فى ظروف غريبة عجيبة عن ٣٧ عاما !

هذا الطبيب الألمانى بلهارس كان شابًّا نابهاً . وكان مشغولا فى الدرجة الأولى بالبحث عن تكوين الدم عند الحيوانات الفقرية ، أى ذات العمود الفقرى . وقد ظهر نبوغه فى سن مبكرة واصطحبه معه طبيب ألمانى أكبر وأعظم إلى مصر . وسرعان ما تعب الضيف الكبير وترك للشاب أن يقوم بهذه المهمة . واتجه الطبيب بلهارس إلى دراسة الجثث الفرعونية القديمة وتحليلها . وقد اهتدى بلهارس إلى نوع من الديدان المتكلسة أو المتحجرة فى معدة جثة من الأسرة العشرين . ثم عاد بلهارس يتحقق من دودة البلهارسيا فى طمى مصر . وتأكد لديه أن هذه الدودة هى مصدر هذا المرض التاريخى عند الفلاح المصرى . .

وعرض بلهارس اكتشافه الطبى هذا على العلماء وكانت له هزة عالمية . . وأصبح بلهارس نفسه أحد معالم مصر الحديثة . وكان هو حريصاً على أن يرافق كبار الزوار إلى المقابر الفرعونية القديمة . . كما أنه لم ينس أن يبعث بمئات الجثث الفرعونية إلى الجامعة التى تخرج فيها يوم احتفالها بالمائة الرابعة لإنشائها !

أما نهاية الشاب النابغة فهى الهذيان لمدة خمسة عشر يوماً انتهت بالوفاة . ولم يعرف الأطباء الذين حوله ماهو هذا المرض الذى أصابه !

* * *

والعالم الأثرى لسبيوس (١٨١٠ ـ ١٨٨٤) قد نبش مئات القبور . وعاش فيها سنوات طويلة . وفى إحدى المرات وهو يخرج من واحد منها تعثر ليصاب

بالشلل ويموت بعده بساعات !

والأثرى جورج ميلر (١٨٧٧ـ ١٩٢١) وهو الخبير العالمى فى التحنيط والدفن والطقوس الدينية قد توفى بنفس الصورة : هذيان وصراخ وخلع ملابسه كاملة وسير فى الطريق العام ثم شلل وإغماء حتى الموت فى الرابعة والأربعين !

* * *

وأخيراً المؤرخ الأمريكى جيمس هنرى برستيد فقد كان أستاذاً فى جامعة شيكاغو . وقد اشترك فى كثير من البعثات الأثرية إلى مصر . وبرغم مرضه كان واحداً من الذين شهدوا فتح مقبرة توت عنخ آمون . ولكن لماذا كان مريضاً فى ذلك اليوم المشهود !

لقد دخل مئات المقابر والدهاليز وتقلبت أمامه الجثث والتوابيت . . وملأ يديه بالجماجم . . وملأ أنفه بالتراب ، برغم تلك الكمامة التى كان يضعها عادة على أنفه وشفتيه . . وبرغم احتياطه الشديد من الخفافيش الكثيرة التى كانت تسكن بعض الدهاليز . وكان من آماله العظيمة أن يعيد صياغة كتابه المشهور باسم (تاريخ مصر) . ولكنه لم يستطع . . وإنما حدث عندما اتجهت به السفينة إلى ميناء نيويورك أن شعر بارتفاع فى درجة الحرارة . . ودوخة . . ثم أحس الذين حوله أن العالم الكبير لا يعى مايقول . . ثم أصيب بآلام شديدة فى أطراف أصابعه . . وفى شفتيه وفى عينيه . . ثم بإغماء شديد . . وبعد ذلك بشلل . ولم يفلح الأطباء فى أن ينقذوه ومات يوم ٢ ديسمبر ١٩٣٥ وقبله ماتت زوجته . محمومة مشلولة . . ولما ماتت الزوجة . . اختار المؤرخ الكبير أختها الصغرى . وكانت الأخت الصغرى تصرخ أثناء

الليل من حلم واحد لايتغير : أن جماعة مـن الفراعنة خطفوها . وحشروها فى نعش ثـم ألقوا بها مـن فوق الهرم وتتحـول إلى ذرات من التراب . . ويـوم توفى زوجها العـالم الكبير برستيـد جاء خفـاش وغطى وجههـا وخنق أنفـاسها . . وعندما صرخت صحت من نومها لتجد أن زوجها قد نام إلى الأبد !

وشىء آخـر أعجب مـن ذلك فعندمـا انتهى طبيبـان عالميـان من تشريـح جثـة تـوت عنـخ آمون يـوم ١١ نـوفمبر تـوفى الـرجـلان . . كيف؟ . . هذا ما سوف نرى !

تفـــاح الجـــن
فى تـابـوت المـلك

أمّا معنى التميمة المصنوعة من الحديد والتى رافقت جثمان الملـك توت . . فتفسيرهـا فى الفصل ١٦٦ مـن كتاب الموتى الذى يقول : « انهض من نومك . فسوف تنتصر على كل شىء . فالطريق مفتوح أمامك . . لقد قضينا على كـل أعدائك » وتفسير وإنذار أعنـف يقول «كل يـد تمسكك تنقطع . كـل أنف يشمـك يسقط . كـل عين تـراك تنطفـئ . . انهض هـادئاً صـاحب الجلالة ! » .

أما جثمان الملك تـوت عنخ آمون فقد نقلوه إلى المشرحة فى القـاهرة . وكان ذلك يـوم ١١ نوفمبر سنـة ١٩٥٢ . هناك حـركة غير عـادية . العلماء يجرون والأسـاتذة والحراس . واقتربـت السـاعة مـن التـاسعة وتجاوزتها إلى الثـلاثين دقيقة ، ثـم توقفت العقارب أو الـزمن كله عنـد الساعة التاسعـة و ٤٥ دقيقة ووقف الأثريون والأطباء أمام مومياء الملك التى لم يمسسها أحد منذ ٣٣ قرنا . وكان الملـك ملفوفا فى أغطيـة تفحمت مع الـزمن . وكانـت ملفوفة بـإحكام

شديد . فهناك أربطة طولية وأربطة عرضية ولها أشكال هندسية . وقد وقف الجراح يمسك مشرطه ويخشى إن سقط على القماش أن يتهاوى كله بين أصابعه . . ولذلك كان شديد العناية ـــ أو شديد الخوف أيضا . ولابد أن يخاف فهذه أول مومياء كاملة لملك يقربها إنسان . . وهى أول مومياء سليمة تماماً ، ويجب أن تظل كذلك .

* * *

أما الحاضرون ويتقدمهم الجراح الإنجليزى د . دوجلاس درى فهم :

١ ـ صالح عنان باشا وكيل وزارة الأشغال .

٢ ـ سيد فؤاد بك الخولى محافظ قنا .

٣ ـ مسيو بيرلاكو مدير عام مصلحة الآثار . .

٤ ـ د . صالح بك حمدى مدير عام الخدمات الطبية بالإسكندرية .

٥ ـ مستر لوكاس الإخصائى الكيميائى بمصلحة الآثار .

٦ ـ مستر هارى برتون مندوب متحف مترو بوليتان للفنون بنيويورك .

٧ ـ توفيق أفندى بولس كبير مفتشى آثار الوجه القبلى .

٨ ـ محمد شعبان أفندى مساعد أمين متحف القاهرة .

وقد اهتز العالم كله لهذا الحدث العلمى والطبى الجليل . وربما كان الجراح الإنجليزى درى خائفا .

فقد كتب فى مذكراته يقول : بعض الناس يرى أن فك أربطة المومياء وتشريحها نوع من الإهانة للميت والاستخفاف بقدره العظيم . ولكن الدافع

الحقيقـى هو أننـا نريـد أن نعرف ، وقـد كـان الفراعنـة من أكثـر الناس حبـًّا للمعرفة ، ومساهمة للعلوم فى كل العصور» .

وأمام الجميع بـدت المومياء بمجوهراتها وذهبهـا . كما أن وضع المومياء فى التابـوت كان عنيفاً إلى حد مـا ، فالأيدى التـى أودعت الجثة لم تكن متـزنة أو كانت مرتبكة إلى حد كبير . لأن الجثة قد وضعت بشىء قليل من الميل . . كما أن الشمع الـذى صبوه على الجثمان لم يكن بهدوء . . فما تزال لـه بقايا متفـاوتة القرب والبعد من أرضيـة التابوت . كما أن الجثة قد ثبتت إلى حـد ما فى أرضية التابوت . . ووضعوا تحت رأس الملك وسادة . هـذه الوسادة لم تكن قد لقيت العناية الواضحة فى كل شىء . . ربما كان هناك (سبب ما) أصابهم بالارتباك عند وضع الملـك الشاب فى مثواه الأخير ـ ولكن احدا لم يستطـع أن يذهب فى التفسير والتعليل إلى أبعد من هذه الملاحظات . .

وكان على الجراح الكبير درى أن يفتح جزءاً من الجثة ليصل إلى أعماقها . . وكـانت العنـاية الشـديـدة ضرورية . فـأزال بعـض الأقمشة ثـم الأربطة ثـم اللفـافات ثـم المواد التى استخـدمـت فى التحنيط . ووجـد ١٤٣ قطعة مـن المجوهرات التى ازدانت بها أغطية الملـك . . واحدة منها سقطت وحدها . . وفجأة سقطت واحدة أخرى . والتصقت الاثنتان معا ! ولكن أحداً لم يلاحظ ذلك فى الحال . فقد كان الموقف مهيباً رهيباً .

والـذى حيرّ العلماء ـ حتـى علماء الأشعـة ـ هـذه التميمـة المصنـوعة مـن الحديد . غريبـة الشكل . . وغريبة أن تكـون من الحديد وكل شـىء حول الملك مـن ذهب . . وحول عنق الملـك ٢١ تميمة أخرى . . بعضها لـلاتزان وبعضها للزينة والباقى لوقايته . .

لا أحد يعرف بالضبط هل لهذه التميمة أى أثر إشعاعى ! ربما كانت كلمة الأشعة أو الإشعاع لا معنى لها عند رجال الدين فى ذلك الوقت . . أو عند عامة الشعب . فالناس عادة يعرفون الفوائد العلمية لأشياء كثيرة ، ولكنهم لا يعرفون الأسس العلمية لها . . ففى ألمانيا الحديثة كان الناس يأتون بالرمال من (وادى خواكيم) ويضعونها فى أكياس صغيرة . وهذه يضعونها على مواطن الألم فى الجسم الإنسانى . وكان الألم يذهب . وآمن الناس بذلك عشرات السنين . حتى جاء العلم الحديث يؤكد أن فى هذه الرمال نوعاً من الإشعاع . وأن هذا الإشعاع هو الذى يذهب بالألم . . ومن المؤكد أن الإغريق والفراعنة قد عرفوا الفوائد العملية لأشياء كثيرة . ولكن عامة الشعب لايعرفون أساسها العلمى . . ولذلك كانت هذه التجارب العلمية نوعا من المعجزات . . أو من الغيبيات ـ أى من الأفعال المجهولة الأسباب . .

* * *

أما الملك فهو متوسط القامة نحيف جدًّا . طوله ١٦٧ سنتيمتراً . وتحليل عظامه يؤكد أنه توفى فى سن صغيرة بين الثامنة عشرة والعشرين . هذه حقيقة يؤكدها علم العظام . وما اهتدى إليه الجراح الإنجليزى اليوت سميث الذى أمضى سنوات طويلةمن عمره يقلب فى الجماجم . لقد حطم أكثر من عشرين ألف جمجمة ، باحثًا عن عمر أصحابها وأهم من ذلك باحثاً عن الأمراض التى أصيبوا بها وعن أسباب الوفاة أيضاً . وكان هذا الطبيب ينسى أنه يعالج بقايا أناس ماتوا . ولذلك كان يعاملهم بعنف ويحاورهم كأنهم أحياء . وفى إحدى المرات دخل المتحف المصرى وحمل تابوتاً على رأسه ووضعه فى أحد التاكسيات واتجه إلى عيادته . وكان صاحب التابوت هو الملك تحتمس

الثالـث (١٥٠٢ ـ ١٤٤٨ قبل الميلاد) واكتشـف الطبيب أن هذا الملـك كان مصابا بالتهاب فى اللثة والشفتين . ومن أهـم ما اكتشفه هذا الطبيب أن أحداً من الفراعنة فى كل العصور لم يصب بمرض الزهرى .

* * *

أما عـالم البكتريا الفـرنسى روفـر الذى كـان أستاذا بطـب القاهـرة ورئيسا للصليب الأحمر المصرى فقد اكتشف البكتريا فى موميـاء فرعونية . ووجدها فى الـرئتين والكبـد كما أنـه وجـد دودة البلهـارسيـا فى كليتـى ميـت مـن الأسرة العشرين . وهو الذى اكتشف أن الملك رمسيس الثانى (١٣٠١ ـ ١٢٣٤ قبل الميلاد) والذى بنى معبد أبو سمبل قد توفى بتصلب الشرايين . .

لقد أصبـح من المؤكد علميًّا أن الملـك الشاب دفن بسرعة . ولكـن أحداً حتى ذلك الوقت لم يعرف لماذا ؟

أما الواقفـون حول جثمان الملك توت عنـخ آمون فقد ظهر الـذهول عليهم عندما رأوا الجراح البريطانى يتراجع لأنه نفذ بمشرطه إلى بطن الملك . .

ولكن مـا الذى فعلـه الطب القـديم والسحـر الفرعـونى بـالملك الشـاب وتحنيطـه وقبره . . وكيف استطـاعـوا حمايتـه ألوف السنين والقضـاء على مـن تهجموا على موته الهادئ الأبدى ؟ ـ هذا ما سوف نرى ؟

وقد تصبب عرقاً بارداً . . لقد وجـد أن هناك إكليلاً ذهبيًّا على وجه الملك الشاب الذى ظهـرت ملامح وجهه نضرة محددة القسمات . إن هـذا الملك هو الوحيد الذى وضع له الإكليل . ولكـن لماذا ؟ ماقوة هذا الإكليل ؟ ماسحره ؟ هل هناك أى أثر إشعاعى سريع لهذا الشىء الغريب الذى حرص الذين دفنوا

الملك على أن يضعوه برغم أنهم تعجلوا دفنه ؟

بعد أربعين عاماً من ذلك اليوم اهتدى الأطباء إلى شىء جديد . . فقد جاء طبيب الأشعة د . رونالد هاريسون . وحمل معه جهازاً صغيراً إلى وادى الملوك والتقط خمسين صورة لمومياء الملك ورأسه . وقد لاحظ الطبيب أن هناك جرحاً على الجانب الأيسر من الوجه . وهذا الجرح قد التأم . وكان معنى ذلك أن الملك قد ضرب أو سقط . وبمتابعة الصور مرة أخرى تأكد لدى الطبيب أن الملك توت عنخ آمون قد مات بجلطة فى المخ على أثر هذه الضربة العنيفة . . وهذا يفسر وضعه غير المتوازن فى التابوت وظهور بعض الخلل فى أربطة الملك وزينته . . واختلال مسار الشمع على الجثمان . . وليس صحيحا ما ظنه بعض الأطباء من أن الوفاة كانت بسبب أورام خبيثة أو التهاب رئوى أو سل فى العظام . .

جاء د . كونولى وقام بتحليل دم الملك الشاب . ووجد أن فصيلة دمه من ذلك النوع النادر : ألف ٢ مجموعة م . ن .

ولابد أن يكون هذا الملك قد جاء من أسرة أرستقراطية جدًّا . وبتحليل دم الملك اخناتون وجد أنه هو أيضاً من نفس الفصيلة . .

* * *

وكان هوارد كارتر الذى اكتشف المقبرة قد سجل فى كتابه الكبير أن هناك شبها عجيباً بين إخناتون وبين توت عنخ آمون . أما تفسير ذلك الآن فواضح : وهو أن توت عنخ آمون الذى كان زوجاً لابنة إخناتون ، هو فى نفس الوقت ابنه غير الشرعى . . فزوجة اخناتون لم تنجب له إلا البنات . وقد اضطر

إخناتـون إلى أن يتزوج سرًّا أخته غير الشقيقة وأنجـب منها توت عنـخ آمون . الذى راح ضحية ثـورة دينية غير معروفة الملامـح . هل كان هو سببهـا ؟ هل كان هو إحدى أدواتها ؟ لقد كانت محنة واجهتها أرملته التى كانت فى الخامسة عشرة من عمرها .

أما كيميائى مصلحة الآثار لوكاس فقد قام بفحص المومياء . . ثم فحص المقبرة كلها فوجد بها بعـض الفطريات ولكن هذه الفطريـات لم تستجب لأية معـالجة كيميائيـة . وأعلن أن المقبرة خـالية تمامـا من الجراثيـم . وإن كانـت الفطريـات نفسها قد أسقطـت جدران المقبرة . وعثـر على حشرات كثيرة ميتة مسمومة .

أما العالم الإيطالى الفيرى الذى كان يعمل بالجمعية الزراعية الملكية المصرية فقد عثر على أنـواع عجيبة من الخنافس عاشـت على عفن عضوى فى المقبرة . وكذلك عثر على عنـاكب ميتة ، وأن نسيجها مايزال عـالقاً فى الأركان كما كان من ٣٣ قرنا . . وعثر أيضاً على زهور برية . .

* * *

وعثروا أيضاً على بـاقة من الزهـور فى قاع التابوت . . لابـد أن أرملة الملك الشـاب قد ألقـت بها أو بعثـت بها فى اللحظـات الأخيرة رمزاً للـوفـاء والحزن عليه . وهذه الزهور قد قطفها من شاطئ النيل القريب . . وكانت هناك زهور وأغصان الـزيتون . ومن النبـاتات الغريبة عـن هذه المنطقة وعـن مصر كلها نبـات (تفـاح الجن) وهو مـن فصيلـة البـاذنجـان . وهذا النبـات ينمـو فى فلسطين فقط . وإن كانوا قد عثروا على شجرات منه فى جزيرة فيلة بأسوان . . وفى مقـابر كثيرة يجدون المشيعين يحملـون إلى الميت سـلالا من تفـاح الجن . .

ويقال إن هذا النبات مجدد للشباب والحيويـة الجنسية . ويقال إن أهل أسوان كانوا يستخدمونه مخدراً ، خصوصا إذا أسرف الإنسان فى تعاطيه . .

* * *

والـذى نتوقعـه هـو أن يصـاب الذيـن شرحـوا جثـة الملك بما أصيـب بـه آخرون . . وأن هذه التعويـذة أو التميمة السحرية سوف يكون لها أثـرها الذى نص عليه كتاب الموتى . فالكتاب طلب من الملك أن يصحو ليموت أعداؤه ، وأن يهدأ بالا لتعـرف الهلوسة عقول الـذين تجرأوا على هدوئه المقـدس الأبدى - وهذا ما حدث .

فالكيميائى ألفرد لوكاس قد أصيب بأزمة قلبية وبعدها مات . وهو يتمرغ على الأرض ويهذى بكلمات غير مفهومـة ويقال إنها كلمات فـرعونيـة . ولكن أحداً لم يتبينها بوضوح . .

وبعده أصيب الجراح الإنجليزى د . درى بجلطـة فى المخ ومات . ويقال إن هذا الجراح قـد أمسك ورقـة وقلماً وكتب هـذه العبارة : الفصـل ١٦٦ من (كتاب الموتى) ـ أى اللعنة عليه .

* * *

لا عرفنا كيف مات
ولا أرملته الطفلة

لايمكن حصر الكلمات التى قيلت عن الملك الشاب توت . . غير أن أصدق الكلمات وأقساها معاً هى التى قالها الرجل الذى اكتشفه : إن أهم ما فى تاريخ هذا الشاب هو أنه ولد ومات لأجده سليماً بعد ذلك !

ولكن هذه العبارة الموجزة عن حياة الملك توت عنخ آمون برغم أنها واضحة فإن حياة الملك نفسه لم تكن كذلك . فقد ولد هذا الملك فى ظروف غامضة . وعاش فى مجتمع تعليمى بالثورة الدينيةولم يكن المجتمع يشير إلى إله واحد ومنهج دينى واحد حتى توفى الملك النبى صاحب شريعة التوحيد : إخناتون . وبعد وفاة الملك النبى جاء زوج ابنته وابنه هو أيضا : توت عنخ آمون . .

أما كيف ظهر هذا الملك توت ، فذلك لغز من ألغاز الحياة الاجتماعية ومن ألغاز القصور والكهنوت فى مصر ، فالملك إخناتون قد رزق بثلاث بنات . . وكان حريصا على أن يكون له ولد يرث العرش . . ولذلك قد تزوج أخته سرًا وأنجب منها هذا الولد غير الشرعى توت عنخ آمون . .

وكان من المألوف تعدد الزوجات الشرعيات وغير الشرعيات . وكان الملوك يفعلون ذلك ، وعامة الشعب ما داموا قادرين على الإنفاق على الزوجة والعشيقة أو ربما كان الملك حريصاً على نقاء الدم ، ولذلك كانوا يتزوجون بعضهم من بعض . أو كان الواحد يتزوج أخته أو ابنته . . حتى الآلهة كانوا يفعلون ذلك . فالإله أوزوريس تزوج أخته الإلهة إيزيس . . وسيت تزوج نفتيس . . وأصبح من المألوف أن تجد فى النصوص الهيروغليفية أن كلمة «أخت» تعنى «العشيقة» أو «المعشوقة» . . وفى كثير من الأحيان كان من الصعب على أكثر الناس دراية باللغة الفرعونية القديمة أن يفرق بين المعانى المتنوعة لكلمة «أخت» . .

ولكن كما حدث فى عصر الحريم التركى فى البيت العالى أن كانت زوجة واحدة هى التى يطلقون عليها «ست البيت» أو «ست الدار» . أو «ست الكل» ـ أى الزوجة الأولى . اما النساء الأخريات فهن «الحريم» أو دون ذلك . . وكان من المألوف ـ ولا يزال ـ أن تكون العشيقة أجمل وأقدر على الغناء والرقص . وكثيراً ما كانت العشيقة تأتى بأولادها وتعيش من الأسرة . ويكون لأولادها نفس حقوق الأبناء الآخرين فى الأسرة . وكانت المرأة فى مكان رفيع فى كل العصور الفرعونية . . ولذلك وجدنا صورة الزوجة مساوية فى المساحة والحجم لصورة الزوج . فقط كان الأطفال والخدم أقل من ذلك حجماً .

ومن أعجب البرديات التى بين أيدينا الآن واحدة فى مدينة ليون بهولندا . هذه البردية خطاب بعث به زوج إلى زوجته المتوفاة . ولم يتمكن من أن يضع هذا الخطاب فى تابوت زوجته ، فقد ماتت وهو يحارب . وإنما أودع خطابها

هذا تابوت سيدة أخرى ماتـت . . لعل السيدتين تلتقيان فى عالم الموتى وتنقل إلى الزوجة التى ماتت رسالة زوجها الحزين العاتب عليها . .

هذا الزوج توفيت زوجته فمرض بعد ذلـك . وظل هذا الزوج حزينا عليها ثلاث سنوات . وهو يتهم الزوجة بـأنها هى التى تسببت فى مرضه ويقول لها : ما الذى فعلته لك حتى يصيبنى المرض بسببك . أنا الذى أحببتك ؟ أنا الذى أتيت بجنود الملك وخيوله ليتدربوا أمامك . . أنا الذى جعلتهم يلقون الهدايا تحت قدميك . . أنا لا أستاهل منك هذه المعاملة القاسية . أنا الذى لم أخنك لا حية ولا ميتـة . . فلم أتـردد على بيت مـن تلك البيـوت . . وقد مضـت ثلاث سنوات على ذلـك . ولست آسفاً على إخلاصى لـك . . ولكنى آسف على أنك لا تعرفين ما الفرق بين الخير والشر . . بين الرجل الفاضل وغيره من الرجال الذين يخدعون زوجـاتهم . . لا بد أن يحكم الناس بيننا . . وفى ختام رسالتى أحب أن أقول لك ، ولكى تستريحى حيث أنت ، أننى لم أزر أخواتك الثلاث حتى الآن ـ ولن أفعل !

* * *

نعـود إلى الملك النبـى أخناتـون (أمنحتب الـرابع) فقـد كانـت له ثـلاث بنات : مريتـاتون وقد تزوجت شابـاً شارك أباها فى الحكم بعض الـوقت ، ثم توفى صغيرا . وابنتـه الثانية ميكتـاتون وقد ماتـت وهى صغيرة . وابنته الثـالثة إسمها عنخسنبـاتن وهـى التى تـزوجت الملك تـوت وكانـت فى التاسعـة من عمرها . ثم أجهضت مرتين . ومات زوجها الملك توت دون أن ينجب إناثاً أو ذكوراً .

وعندما مات الملك توت وجدت الأرملـة الصغرى نفسها وحدها . . لقد

كانت فى الخامسة عشرة من عمرها . وهى تعرف جيدا ماذا يدور فى القصور . وما الذى تقوله الزوجات والعشيقات والأرامـل . وما الذى يدبره الكهنة وقادة الجيش . صحيح أن زوجها لم يكد يجلس على العـرش حتى سقط من العرش أو أسقط من العرش . . أو مات دونه ـ ولكن من المؤكد أنه قتل ـ هذه حقيقة علمية .

أما الذين كـانوا أمام أرملة الملك توت يتربصون بها . فـالكاهن الأعظم : آى . . والقائد الأعظم : حور محب . .

أما الكـاهن فقد كـان يعرف بالضبط مـا الذى يريـد وقد أعد نفسـه لكل الاحتمالات . أما زوجتـه فقد كـانت مربيـة الملكة نفـرتيتى . وهـى أستاذة فى المناورات والمؤامرت . وقـد اتهمت بأنها وضعت السـم للكلاب الصغيرة . ثم وضعته للأبقار . ويقال إنها كانـت تجرى تجارب من أجل شىء كبير . ويقال إن السموم وصنـاعتها هـى إحدى الحيـل التى لجأ إليهـا زوجها فى منـاسبات عديدة . .

وكان أمام الأرملة الصغيرة وقت قصير جدا لكى تقعد على العرش . أمامها سبعون يوماً . . هـى الأيام التى يجب أن تمضى بين الوفاة والجنـازة . وبعدها يذهـب الملك الجديد فى احتفـال مهيب إلى تابوت الملـك الراحل ويفتـح فمه لتخرج منه الروح ، فإذا خرجت أصبح هو الملك . .

ولم تجد الأرملة الطفلة أمامها إلا حلا واحدا . فقـد بعثت برسالة إلى ملك الحيثيين فى آسيا الصغرى (تـركيا الآن) . تقول فيها : أعلم أن لـك عدداً من الأبناء الناضجين . وأنا اليوم أرملة مات زوجى ولم ينجب وليا للعهد . ولذلك أطمع فى أن تبعث لى بواحد من أولادك أجعله زوجاً وملكاً على مصر . .

وكانت الـرحلة تستغرق أسبوعين ذهابا ومثلهما فى الإيـاب . ووقف رسول الملكـة أمـام ملك الحيثيين . وقـد أعلـن الملـك أنـه لايصدق الملكـة . وأنـه لايستبعد أن تكون هـذه حيلة لتتخذ من ابنـه رهينة ، تمهيداً لمطالـب أخرى . وعاد الـرسول مخذولاً . وأرسـل الملك رجـلا ينهى إلى الأرملـة الملكة مخاوفـه . ولكـن الملكة أكـدت لـه أنها لاتكـذب . وأنها لا يمكن أن تقبـل هـذا الهوان فتطلب إليـه رجلا، مع أن بـلادها مليئة بالـرجال . ولكن المشكلـة أن الملكة لاتريد زوجاً من عامة الشعب .

وأرسل لها الملك واحدا مـن أبنائه واسمه الأمير زنازا ليلقاها فى مـدينة طيبة عاصمة الإلّه آمون . ورأى القائد الأعظم حور محب أن يخف للحفاوة بالأمير. فلقيه جنود القائد الأعظم واغتالـوه . ولم يعرف أبو الأمير الحقيقة . ولكنه آمن بأن المصريين غدارون وأن الملكة كاذبة غادرة . !

وكانت الفرصة التى انتظرها الكاهن آى فذهب إلى تابوت الملك توت وفتح فمه لتخـرج روحه واعلن نفسه ملكـاً إلى جانب الأرملـة الصغيرة ، ولمدة أربع سنوات . توفى بعدها فى ظروف غامضـة . . أما هذه الأرملة فقد ضاع صوتها وصداها وضوؤها وظلالها فى غبار الزمـن والثورة على الدين ورجال الدين التى جـاءت بعد ذلـك . . وربما كان القـائد حـور محب هو الـذى اغتال الأرملـة الصغيرة . لا أحد يعرف على التحديد . .

* * *

وأعلن حور محب نفسه ملكا . ولكى يخفى هذه الجريمة تزوج أخت الملكة نفرتيتى . وأمسك الأزميل والسكين وراح يمحو اسـم الملك توت ويفقأ عينى نقوشه وتماثيله أينما وجدها . ولم يكتف بـذلك بل قطع رءوس التماثيل ـ حتى

إذا قام صاحبها يوم القيامة كان مقطوع الرقبة !

كما أنه استخدم أحجار مدينة تل العمارنة وبنى منها أهرامات ثلاثة فى مواجهة مقبرة الإلـه آمون بمدينة طيبة .

وحطم الكثير من المقابر . وحطم قبر الكاهن الملك آى . .

ولكن شيئاً غريباً حدث أو لم يحدث : فهو لم يقترب من مقبرة الملك توت عنخ آمون . . ولا رجاله اتجهوا إليها . ولا حاولوا ذلك ! !

يقول عالم الآثار كريستيان دروش نوبلكور : أن هذا الرجل قد كان يمشى فى الهدم والبناء وفقاً لخطة علمية مدروسة . . هدم كل شىء تافه . وترك مقبرة توت عنخ آمون ، لأنها أروع من كل الذى هدمه فى ذلك الوقت !

فهل هـذه هى الحقيقـة ؟ هل هو أبقـاها لأنها أجمل وأروع ؟ هـل من المعقول أن رجلاً يتحرك بهذا الحقد والتشفـى يهدم الأشياء التـافهة ويترك هـذا المتحف الجميـل أو هـذه التحفة الفنيـة ؟ هـل من المعقـول أن يترك لخصمه وغـريمه الملـك توت هـذه الآثار التـى تجعل حيـاته الآخـرة أروع وأبهى؟ ليس معقولا طبعاً . ولكن المعقول أن شيئاً ما منعه من ذلك . فما هو هذا الشىء ؟ . .

هذه هى القضية . لقـد كان العلم فى ذلك الوقت مـن ممتلكات الكهنة . هـم الـذين يعلمـون . وهـم الـذيـن يحتكـرون العلم . وهـم القـادرون على تطبيقه . . فلا يرى منهم الناس إلا هذه « المعجـزات » ـ أى وقوع أشياء غريبة عجيبة لأسباب ليست واضحة عندهم !

وليس غـريباً أن نجد الملـوك يهبون الكهنة الكثير مـن ثرواتهم . لماذا ؟ لأن

هؤلاء الكهنة قد قدموا خدمات جليلة للملوك . ما هى ؟ هذا ما لايعرفه الناس عادة . ولايقوله الملوك أو الكهنة . فالملك رمسيس الثالث (١١٩٧ ـ ١١٦٥ قبل الميلاد) قد منح كبير الكهنة فى عصره ٨٨٧٨٦ أسيراً . وهو حر فى أن يبيعهم أو يقتلهم فلا حسيب عليه ولا رقيب . وأعطاه أيضاً ٣٢ طناً ذهباً .

وفى القرن الحادى عشر قبل الميلاد تلقى كهنة الإلّه آمون ٢٤٠٠ مزرعة و٨٣ سفينة و٤٦ ميناء صغيرا ونصف مليون من الأغنام . .

والتقى الطب والسحر عند الفراعنة ، فكان الطبيب هو الشافى والمعافى وهو فرحة الدنيا كلها للأحياء وللأموات .

وقد ترك لنا الفراعنة عدداً كبيراً من البرديات التى تدل على ذلك .

* هناك البرديات المعروفة باسم برديات (ادوين سميث) فى ٢٢ صفحة . .

* وبرديات هيرست فى ١٧ صفحة . . وترجع إلى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد . .

* وبرديتان لكاهون عن الطب البيطرى وترجعان إلى ١٩٠٠ قبل الميلاد .

* وهناك ١٨ صفحة تعود إلى عصر الملك توت ومعها تراكيب لبعض العقاقير للأم والطفل . وفيها نرى هذه « التوأمة » بين الطب والسحر .

وفى هذه البرديات نجد تشخيص المرض وعلاجه ، ونجد كيفية الكشف على جسم المريض . وكيف يتحسسه الطبيب . . وكيف أن التهاب المعدة له علاقة بالكبد . . وكيف أن أوجاع المفاصل له علاقة بتسوس الأسنان . .

وكيف أن ضعف النظر له علاقة بأمراض أخرى كالسكر أو تآكل الأسنان . . وكيف يمكن تناول الأدوية بعد وقبل وأثناء الأكل وقبل النوم . . أو على الريق . .

ولكن هناك كلمات أو تعبيرات أو طلاسم غير مفهومة . . ولابد أن تكون هذه بعض التعاويذ التى يستخدمها السحرة ، وإن كنا لانعرف أين يتلقى هؤلاء الأطباء علومهم . فالطب أيضاً واحد من العلوم السرية أو السحرية . . كما أن الفراعنة لم يعرفوا المستشفى . ومعنى ذلك أن العلوم كلها يتلقاها بعض الناس سرًا . . لأنهم يبخلون بها على الناس . فنجد من التعبيرات أو الوصفات العجيبة : الفئران المسلوقة . . أو جلد الأحذية المحروق أو وضع لبن الحامل فى العين الملتهبة . . أو وضع دم البرص على الجراح . .

وتحدثنا البرديات عن أرواح المدن ـ أى أن لبعض المدن أرواحاً قوية . وأن هذه الأرواح لها سلطان أو سيطرة على الناس عموماً . ومن الغريب أن هذه الأرواح يقوم الكهنة بتسليطها على الناس . . ولكنهم لايسلطونها على الأحياء . وإنما على الأموات فقط . فهناك روح مدينة بويسطة ـ روح هذه المدينة يطلقها الكهنة لحماية المعابد والمقابر . .

ولابد أن كهنة آمون قد استخدموا كل قدراتهم السحرية لحماية مقبرة الملك توت . . لحماية هذه المقبرة من الذين يسرقون القبور والكنوز الملكية . ونحن لانعرف على التحديد ما الذى أصاب الذين نبشوا مقابر الملوك ولا كيف أصابتهم الأرواح . . ولكن الملك توت الذى جمع حوله عدداً من أشهر العلماء والأطباء هو فى نفس الوقت قد اختار ضحاياه . . فكانت لعنته عالمية . . لأنها أصابت رجالا عالميين فى كل العواصم الأوربية والأمريكية والأفريقية . .

ثم إننا لانعـرف كيف مات مئات العمال الـذين حفروا الطريـق إلى مقبرته . . لابد أنهم تساقطوا مثل الحشرات فى مقبرته . . لايـدرى بهم أحد . . لقد ماتوا تراباً على التراب . . ماتوا يحملون سر اللعنـة معهم إلى الأرض . . وما كان لنا أن نعرف قوةالسحر الأسود لولا هؤلاء المشاهير من الأغنياء والمؤرخين والأثريين والأطباء .

ولكن لغز الملك أو سر اللعنة لم ينته بعد ـ كما سنرى !

إن كل إنسان
يموت إلا قليلا

عالم أمريكى توفى يوم ١٩ سنة ١٩٦٧ عن ٧٣ عاماً اسمه جميس بدفورد . وبسرعة قام علماء آخرون بتنفيذ وصيته فأفرغوا أحشاءه تماماً . ثم ملأوها بالسوائل الكيماوية ووضعوه فى الجليد فى درجة ٢٠٠ تحت الصفر. وتكلفت هذه العملية الغريبة ثلاثين ألف دولار . وكان بذلك أول إنسان يدفن أو يحفظ فى الجليد. ولكن لماذا ؟ لأن هذا العالم الكبير عنده أمل فى أن يقوم العلم الحديث بإحياء بعض الخلايا فى جسمه !

وقبل ذلك بسنوات أعلن عالم آخر اسمه روبرت اتنجر أن الإنسان إذا مات ووضع فى الجليد بشرط أن تنخفض درجة الحرارة ١٥٠ مئوية مرة واحدة، فإن هذا يساعد بعض الميكروبات على أن تعيد لها الحياة فى أى وقت بعد ذلك . وحاول هذا العالم ونجح . .

* * *

وأجريت تجارب كثيرة على خلايا النباتات وبعض الحيوانات . وكان لهذه

التجارب نجاح فتح أبواب الأمل أمام العلماء أن يعرفوا أكثر عن سر الخلية الحية والميتة . والتى يمكن إحياؤها بعد ذلك .

وهناك قبائل بدائية قد جربت أشكالاً وألواناً من الدفن فى الجليد . فأهل الإسكيمو لهم قبور تحت الجليد . ولديهم خرافات تقول بأن بعض الأموات دبت فيهم الحياة . . وبعض الأموات تحركت رءوسهم أو قلوبهم . .

ولكن أحداً من الذين ماتوا لم يعد إلى الحياة فى كل العصور . غير أن العلماء عندهم أمل .

* * *

ولكن ما الذى جعل الفراعنة يدفنون موتاهم فى الغرب حيث تنتقل الشمس غاربة من هذا العالم إلى العالم الآخر . . عالم الموتى والأشباح والأرواح والحساب . . ما الذى جعل الفراعنة يختارون الأماكن الجافة أو المنعدمة الرطوبة . . هناك اعتقاد بأن الحياة مستمرة . وأنه لايوجد موت . وإنما الموت هو « حالة » ينتقل فيها الإنسان من حياة إلى حياة أخرى . والموت ليس موتا تاما . . وإنما هو تعطل للجسم وانطلاق للنفس أو للروح . . أو للقوى الحيوية أن تعمل فى مكان آخر أو فى عالم آخر . . وبعد الموت ينتقل الإنسان إلى دنيا النباتات أو الحيوانات . . أو إلى أن يكون نباتا أو حيوانا . . أو تكون له طبيعة النبات أو قوةالحيوان . . أن الملك تحتمس الثالث قد وصف روحه هو فقال : إن لها قوة الثور المنتصر فى حلبات مدينة طيبة .

وفى اللغة الفرعونية القديمة كلمات كثيرة تدل على أن الموت ليس إلا نوماً . . أو انتظاراً ليقظة أطول وأروع ـ أى يقظة مروعة أو رائعة .

وربما كان المؤرخ الإغريقى هيرودوت الذى زار مصر فى القرن الخامس قبل

الميلاد أول من حدث العالم الغربى عن الدفن والجنازة وعن التحنيط قبل ذلك عند الفراعنة ، وكيف أن أهل الميت يختارون نموذج التحنيط الذى يناسبهم اجتماعيًّا وماديًّا . فالحنوطى ـ نسبة إلى كلمة الحنوط ـ أى الحانوتى يعرض على أسرة الميت نماذج مختلفة للتحنيط . ويعرض عليهم أسعارها . وهم الذين يختارون . ولكن فى معظم الأحوال يفضل أهل الميت أن يجىء « الحنوطى » ويفرغ أحشاء الميت ويصب فيها الزيوت المطهرة من المر والكافور واللبان التى يأتى بها الفراعنة من بلاط نبط ـ ربما هى بلاد الصومال الآن ـ ثم يضع الملح ويترك الميت سبعين يوماً . . وقد ذكر الأثرى المصرى د . زكى إسكندر تفاصيل كثيرة لهذه الطقوس فى واحد من كتبه .

أما الفقراء ، فإن « الحنوطى » يكتفى بإعطاء الملينات ، بعض الملينات ثم يفرغ أحشاءه . وقد تعلم الفراعنة استخدام الحقنة الشرجية من طائر « أبى قردان » الذى يملأ منقاره بالماء ويضعه فى مؤخرته فى كل مرة يصاب فيها بالإمساك !

ولا أحد يعرف بالضبط كيف تعلم « الحنوطى » هذا الفن . . لابد أنه توارثه . ولا بد أن عدداً من الكهنة قد اشتغل بهذا الفن أول الأمر ثم تركه لغيرة من الناس . وبرغم أهمية التحنيط فإن الرجل الذى يحنط الجثة لم يكن يلقى عظيم الاحترام . فقد حدث فى بعض عصور مصر القديمةإن كان أهل الميت يطاردون الحنوطى ويضربونه بالطوب ـ بعض الفلاحين ـ أو عندما ينزل الجنين ميتا !

يفعلون ذلك الآن مع الطبيب أو مع الداية التى تأتى لهم بالأنثى أو عندما ينزل الجنين ميتا !

يقول لنا المؤرخ ديودورس الصقلى أن الكهنة المصريين كانوا يعرفون الكثير. ولكنهم كانوا يضنون بهذا العلم عن عـامة الناس . ويقول إن واحداً منهم قد اعترف له بذلك . .

والمؤرخ هيرودوت قد روى لنـا ذلك مـن قبل . . وأكـد أن الكهنة لـديهم علـم غـزيـر لايبـوحون بـه إلا للملـك . ولكنهـم لم يسجلـوه فى ورق أو على الجدران . ولم يستبعد هيرودوت أن الكثير من العلم قد مـات مع أصحابه من الكهنة . .

* * *

نعود مرة أخرى إلى ماسبق أن ذكرت فى هذا المكان . من أنه من الممكن أن يعرف الفـراعنة بالتجـربة اليومية فـوائد أشياء كثيرة ، وأن يتوارثـوها ، دون أن يعرفـوا الأساس العلمى لذلـك . ونفس الشىء حـدث فى العصر الحديث فى بلاد الصين . فقـد عاشـت الصين ألوف السنين تستخـدم « الوخـز بالإبـر » لعلاج كثير من الأمراض . ونجح العلاج . ولكـن أهل الصين القدامى كانوا يعتقدون أن فى الجسم الإنسانى روحاً شريرة وأن هذه الروح تقتل بالوخز . وأن هناك أماكن ، أكثر من ٣٦٠ مكاناً ، لابد أن توضع فيها الإبرة، فإذا وضعوها ببراعة بعض الوقت ، اختفى المرض أو اختفت قوى الشر .

وفى سنة ١٨٩٣ اهتدى طبيب كبير اسمه هنـرى هيد إلى أنه من الممكن أن يكون الإنسـان مصابـاً فى مكان مـا فى جسمه ، ويكـون لهذه الإصابـة أثر فى مكان آخر . . كأن يكـون الإنسان مصاباً فى أسنانه أو فى حلقـه ثم يشكو من أوجاع فى ركبتيه . ومعنـى ذلك أيضاً أنه يمكـن وخزه بالإبر فى ركبتيـه ليشفى من أوجـاع أسنانـه أو صداع فى رأسه . . وهـذا بالضبـط ما يحدث فى الـوخز

بالإبر فى العصر الحديث . ومن المؤكد طبيًّا وعلميًّا أن الوخز بالإبر ينفع فى كثير من الأحيان . ولكن لسبب آخر غير أن يكون فى الجسم الإنسانى روح شريرة . فكان أهل الصين قد عرفوا الفائدة ، ولكنهم لم يعرفوا التفسير العلمى لذلك . . ونفس الشىء يمكن أن يقال عن الفراعنة أيضاً . فقد هوجم الفكر الفلسفى والدينى عند الفراعنة من الأديان السماوية . واختلف المؤرخون ورجال الدين على أهمية المذاهب الدينية الفرعونيةبما فى ذلك ديانة التوحيد عند إخناتون . وناقش المؤرخون وجه الشبه بين موسى عليه السلام وبين إخناتون . . وقيل إنهما تعلما فى معهد دينى واحد ولم يختلف أحد على الحكمة التى امتاز بها موسى عليه السلام . . ولا اختلفوا على الجو الفكرى والدينى الذى وجدوه فى مصر الفرعونية .

ولكن أحداً لم يختلف على القيمة العلمية لمصر الفرعونية . ولا كيف عرف الفراعنة الكثير من النظريات الطبية والفلكية . ولم يختلف أحد على القدر العظيم الذى بلغه الفراعنة فى الهندسة والعمارة والزراعة والملاحة ابتداء من المؤرخ هيرودوت حتى أكثر العلماء تطوراً فى العصر الحديث . وخصوصاً هؤلاء الذين أتوا بأجهزة لرصد الأشعة الكونية التى تنفذ من بناء الأهرام لمعرفة مداخله وحجراته ومحتوياته .

ولا على هؤلاء الذين يدرسون عالم الروح واستخدام الفراعنة للأرواح والأشباح والسحر . . ولا كيف أنهم اهتدوا إلى سر الأرقام وقوى الحروف وكيف أنهم استخدموا القوى الخفية فى السيطرة على الناس وعلى الأشياء .

نعود مرة أخرى إلى تجربة مثيرة قام بها طبيب ألمانى اسمه أرفين سانتو . والشىء العجيب هو أن هذه البكتريا قد استخرجها ميتة من جسم مات من

٣٥٠٠ سنة وذلك بأن وضعها فى محاليل غذائية بها محلول اللثيوم لمدة ١٧ ساعة . وتحركت . ثم عاشت . وكان ذلك حدثاً علمياً جليلاً .

أما المعنى فهو أن الجسم إذا مات ، كان معنى ذلك أنه لم يمت تماماً . وإنما فى داخل الجسم الإنسانى نوع من الحياة الكامنة . . . أو الحياة المتحفزة . فإذا أعطيت لهذه الحياة ، أو لهذه الأحياء ، فرصة أو جوًّا أو مناخاً فإنها تعيش .

فهل كان « إيمان » الفراعنة بالحياة بعد الموت مجرد إحساس دينى قوى ؟ هل هو إعتقاد علمى ؟ هل هو دين عند عامة الشعب : وعلم عند الكهنة ؟

وفى سنة ١٩٥١ هزت عالمة روسية اسمها لبشسكايا العالم ، عندما أعلنت أن بعض الخلايا يمكن إحياؤها مرة أخرى . فقد اهتدت إلى أن هناك نوعاً من الخلايا « ناقلة الحياة » من الممكن أن تقفز من كريات دموية متآكلة . . وهى التى قالت أيضاً : لا شىء ينتهى . لا شىء يموت كله . وإنما يموت بعضه . . وتظل هناك خلايا تحمل مشعل الحياة . تماماً كما ينام أهل البيت ويظل هناك بعض الحراس يشعلون سجائرهم ويتسامرون فالبيت قد نام أو مات إلا قليلاً !

وفى ورقة بردى فى برلين تحمل رقم ٣٠٢٤ مثل هذه العبارة الغريبة العجيبة : مات . ولكن هناك روحة تحرسه . إنها ليست بعيدة عنه . . إنها متصلة به كذراعه أو كساقه . إنه ينتظر الانتقال الذى يوقظه ويحييه . . إنه لم يمت تمامًا !

وهناك مصدر جديد لايقل غرابة عن هـذه الورقة البردية . ففى يوم ٤ مايو سنة ١٩٣٦ جلس جماعة من المشتغلين بـالأرواح فى لندن وأعلن الـوسيط أن روحاً من الأسرة الثامنة عشرة قد حلـت بجسده . وأنها مسيطرة عليه تماماً وأنها سوف تتكلم باللغة الفرعونية القديمة .

وبدأت ظاهرة معروفة عند الروحانيين بظاهرة « الاستغراب » أو «التغريب» أى أن الوسيـط يتكلم لغـة لا يعرفها ولم يـدرسها . . وهـذا ما حـدث . فقد كانت المتكلمـة سيدة اسمها « تليكا » . . ثـم قدمت نفسها بـأنها « نونا » أى التى ليس لها اسـم . وأنها حددت بالضبط العصر الـذى عاشت فيه وغـرقت فيه أيضاً . هـذه السيدة هى ابنة ملك بابـل التى تزوجها أمنحتب الثـالث أبو أخنـاتون . وبمـراجعة آثـار « تـل العمارنة » اهتـدى علماء الآثار إلى أن هـذه السيدة هى الـوحيدة من زوجات الملـك التى ليس لها اسم . فقـد محوا اسمها من كل الآثـار . . ثم إنهم أغرقوهـا فى النيل قبل ذلك . فقـد كان لها سلطان عظيم على الملك .

وبتسجيل صوت «الوسيط » وعـرض كل الذى راحت تهذى به على علماء الآثار أكدوا أن هذه لغة فرعونية صحيحة . وأن هذا الذى قالته يكشف عدداً من الحقـائق قد حـار المؤرخون فى الوصـول إليها . فلم يكـن أحد يعـرف أين ذهبت الزوجة البابلية . . ولا لماذا لم يرد اسمها فى أى أثر . .

أخطر من ذلك أن « تليكـا » هذه قد كشفت عن طريـق « الوسيط » كثيرا من أسـرار الحيـاة وعلم الكهنـة . . فمثلاً قـالـت : إن الفـراعنة كـانوا يعـرفون الكهربـاء . . وأنهم كانوا يعرفـون أشياء كثيرة عن الجاذبية الأرضيـة . ولكنهم كانوا يفضلـون استخدام الكيمياء أو التفاعـلات الكيماوية ، وأنهم اهتدوا إلى

سر الكثير من المواد . .

وعندما تحدثت عن كيفية بناء الأهرامات قالت : ليس صحيحاً أن الفراعنة قد لجأوا إلى السخرة فى بناء الهرم . وإنما كانت لديهم وسائل عجيبة لرفع الأحجار ولصقها وتثبيتها كما كانت لديهم أجهزة خاصة لرصد الفلك .

وقالت أيضاً : لقد كان الكهنة هم مصدر العلم وهم فى نفس الوقت حارسو كنوز العلم والمعرفة . وأنه سوف يجىء يوم قريب يكتشف العلم الحديث فيه كيف أن الفراعنه قد سبقوهم فى كل ما اهتدوا إليه . .

هذا التسجيل الصوتى عمره أربعون عاماً وقد نقله علماء كبار وترجمه إلى اللغات الأوربية علماء كبار . وشهد آخرون بأن « الوسيط » هذا لم يكن يعرف حرفاً واحدًا من اللغة الفرعونية القديمة .

فما الذى فعله الكهنة ، أى العلماء الكبار فى مصر القديمة ، من أجل الدفاع عن موتاهم العظام . . ما الذى أخفوه عنا ؟ وكيف ؟ وإلى متى ؟ إن المؤتمر الصحفى الذى عقده فى القاهرة د . عز الدين طه وبصورة مفاجئة كان قنبلة علمية وكان تغييراً لمسار البحث العلمى عن هذا الذى نسميه (لغة الفراعنة) كما سوف نرى !

وعدل خروشوف
عن دخول الهرم

كان أنطونيو يخاف أن تضع له كليوبطرة السم فى أى شىء فى أى وقت . فكان لايذوق شيئاً لم تذقه هى حتى أتوا له بكأس من النبيذ ونزعت كليوبطرة زهرة من شعرها وألقت بها فى الكأس . وامتدت يده ولكنها منعته . وأتت بواحد من عبيدها وأمرته أن يشرب الكأس . ولما شربها سقط ميتاً فقد وضعت السم فى الزهرة . . أرادت أن تقول أنها تستطيع أن تقتله ولكنها لم تشأ !

ولما كان يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٦٢ حدث شىء غير مألوف فى مدينة القاهرة . لقد عقد د . عز الدين طه مؤتمراً صحفياً . إنه أحد علماء البيولوجيا فى مصر . . لقد اهتدى إلى شىء عظيم وأراد أن ينقله إلى كل الناس . لقد درس حالة عدد من الأثريين والموظفين فى الآثار الذين ماتوا فى ظروف وبحالات غريبة والناس من حولهم : إنها لعنة الفراعنة !

أما هو فله رأى آخر : لقد لاحظ أن هؤلاء المصابين كانوا يعانون من مرض

اسمه « هرشة الأقباط » . وهى عبارة عن التهاب جلدى وضيق فى التنفس . أما السبب الذى اهتدى إليه د . عز الدين طه فهو : وجود بعض الفطريات . وهذه الفطريات قد رآها تحت الميكروسكوب الإلكترونى . ولكن د . عز الدين طه لم يقطع بأن هذا هو التفسير العلمى الوحيد لما يسميه الناس « لعنة الفراعنة » . وإنما قال : ربما كان هذا أحد الأسباب . ولذلك ضرب د . عز الدين طه مثلا عالياً للعالم الدقيق فى بحثه وفى النتائج التى بلغها !

لولا أن د . عز الدين طه قد أصابته « لعنة الفراعنة » . . فبينما كان فى سيارته متجهاً إلى السويس اعترضته سيارة أخرى . فصدمته ومعه اثنان من مساعديه . فتوفى فى الحال بعد دقائق من مؤتمره الصحفى .

* * *

وقبل ذلك بمائة عام فى جنوب أفريقيا ذهب طبيب اسمه د . جون وايلس إلى مغارات جبال روديسيا يبحث فى مخلفات الخفافيش . ودخل مغارة تحت الأرض بمائة وخمسين متراً . وفجأة وجد حبلا معلقاً فى الظلام . ولم يكن هذا الحبل سوى ألوف الخفافيش قد تماسك بعضها فى بعض . وتحركت كلها فى وقت واحد . . وهرب الرجل إلى خارج المغارة . وكان الهدف من هذه الزيارة أنه يريد أن يبحث عن طريقة للاستفادة من مخلفات الخفافيش كأسمدة عضوية . هذا الرجل ما الذى أصابه : التهاب رئوى . . وجرب جلدى عنيف . ولما نقل إلى أحد المستشفيات أرسلوا عينة من دمه إلى أمريكا . وفى أمريكا شخص الأطباء مرضه بأنه نفس المرض الذى أصيب به الأثريون الأمريكان وهم ينقبون فى وديان جمهورية بيرو عن الحضارة القديمة للانكاس . فهل هى تشبه لعنة الفراعنة ؟

وفى ممـرات أوروبـا أصيـب العمال وهــم يحفـرون الجبـال بنفـس المرض . وخصوصـاً عند حفر ممـر « سان جوتار » وشخـص الأطباء مرض العمال بـأنه «نوع مـن فقر الـدم الحاد » . وأطلق عليـه الأطباء اسـم مرض عمال الأنفـاق والمناجم . ولاحظ الأطبـاء فى مخلفات المرضى نوعاً من « الـديدان الصنارية » ثم الديدان الشريطيـة . واكتشف الأطباء أن الدودة الصنارية لها غـدتان عند الأذنين تفرزان مـادة سامة . هذه المادة السـامة تصل إلى الجهاز التنفسـى عن طريق الأوعية الدموية فى الأمعاء فتقضى على الكريات الحمراء . . ربما كانت هذه الطفيليـات مثل لعنـة الفراعنـة . ولكن هـذه الطفيليات تـرهق الجسـم ولكنها لا تقتله !

ولكــن ليس مستبعـداً أن يلجـأ الكهنـة فى حمايتهم للملـك إلى استخـدام السموم . فالكهنـة قد عرفوا السموم واستخدمـوها . والوثائق التاريخيـة تؤكد ذلك . بـل إن الملك مينـا نفسه قـد زرع أشجار السمـوم . . وكان الإغـريق القدامى يستوردون السموم من مصر . نفس السموم التى انتحر بها سقراط . . بل إن حـاكماً لآسيا الصغـرى (تركيـا الآن) كان يخشـى أعداءه أن يضعـوا له السم . هـذا الحاكم اسمـه يثيريت كان يضـع لنفسه السـم فى طعامـه ليعتاد جسمه عليـه ، حتى إذا شرب الكأس المسمومـة التى يتوقعها ، لم تكـن آلامه مبرحة !

وكليـوبطرة كـانـت تعطى السـم لخصـومها . وهـى يـوم وضعت زهـرتها المسمومـة لأنطونيو ، وكاد يشربها فيمـوت ، نادت واحداً من عبيـدها وشرب الكأس ومـات . فقالت لأنطـونيو : لقد وضعـت السم فى أوراق الزهـرة ولو كنت أريد قتلك لقتلتك . ولكنى لا أريد ! .

وفى سفر « العــدد » من التوراة حكايــة فرعونية قــديمة . أنهم كانوا يــأتون بالمرأة الخائنة ويعطونها شرابًا مسمومًا . فــإذا شربته اعترفت بخطاياها . . إن هذا السم هو نوع من اكتشاف الكذب .

وفى بــرديات ايبرز الفــرعونيــة تحذير مــن سموم العقــارب والعناكــب والثعابين . والترياق الذى يشفى منها . ومــن بين الأطعمة التى يتعاطاها الفراعنــة للشفاء مــن السموم : عســل النحل ومخلفــات الفتيات الصغيرة وعجل البحر . .

ولابد أن الفراعنــة قد عرفوا خــواص السموم . . فهناك سموم إذا تعــرضت لدرجــات حرارة عاليــة فسدت ، أو إذا تعرضــت للأشعة فــوق البنفسجية . ولذلك فالقبور الفرعونية والأهرامات تحتفظ لهذه السموم بخواصها القاتلة .

* * *

وقد اكتشف طبيب ألمانى اسمه كونو ماير سر تقديس الفراعنة للضفادع . ففى سنة ١٩٥٠ لاحظ أن وراء أذنــى الضفدعة توجد غدة تفــرز ١٢ نوعاً من السموم الفتــاكة . فليس غــريباً أن تلقــى الضفادع هذا الاحترام العظيــم عند الفراعنة !

وإذا كــان الفــراعنة يعــرفــون السمــوم ، فــإنهم أيضــاً يعرفــون خصــائص «النباتات السحرية » . أما هذه النباتات فقد وصفها هيرودوت بأنها : الفجل والبصل والثوم . وكان منقوشاً على السطــح الخارجى للهرم مقدار ما استهلكه العمال المصريون من هــذه النباتات للوقــاية من الأمراض والأوبئــة والسموم . وبلغ عدد العمال الذين ماتوا أثناء بناء الهرم حوالى ١٨٥ ألفاً .

وأخيراً اكتشف الطبيب السويسرى د . بيشير فى كتابه « العقاقير السحرية» أن الفجل المصرى به مادة اسمها « رفانين » سهلة للذوبان فى الماء ، وأن هذه المادة تستخدم فى علاج الأمراض الرئوية !

* * *

وقصة الحكيم أمحتب مع زوجته من المعجزات الطبية . . فزوجته كانت تشكو من مرض « التراخوما » ـــ أى التهاب الملتحمة فى عينيها . وقد تعب فى علاجها . ويقال إنه أتى بخنفساء وغلاها فى الزيت . ثم شطرها نصفين . ووضع كل نصف على عين زوجته . ولم يفلح هذا العلاج . ثم عاد فصنع عجينة ووضعها على الجفنين من الخارج . وشفيت الزوجة . وكاد أمحتب يقول بأن هناك نوعاً من « الديدان الصغيرة » أو الميكروب أو البكتريا . . ولكنه كان من المستحيل أن يقول ذلك لأنه فى حاجة إلى ميكروسكوب ! . .

أما العلم الحديث جدًّا فهو يقترب من الفكر الفرعونى أو الطب الفرعونى فقد اهتدى العلماء إلى نوع من السموم اسمه « سم الموتى » . هذا السم يظهر عندما يتحلل الجسم الإنسانى . . وهذا السم لا يخرج من الجسم نفسه ، وإنما من المواد التى يضعها « الحنوطى » ـ الحانوتى ـ على جسم الميت . . ثم إذا تعرضت للهواء . . صحيح أن الجسم الحى ، أى جسم ، يفرز مادة اسمها « الأجسام المضادة » . مهمتها أن تقاوم السموم التى تنفذ إلى جسم الإنسان كل يوم . ومن المهم جدًّا أن نسأل : هل تحتفظ هذه السموم بفاعليتها ألوف السنين ؟ ولماذا . . ؟ .

هناك بعض السموم العادية تفقد فاعليتها إذا تعرضت للهواء أو للضوء . ولكن سموم الموتى الفراعنة ظلت قوية المفعول عشرات القرون . والسبب أن

بعض البكتريا لا تحتاج إلى الأوكسيجين لكـى تعيش ، لأنها تتغذى على المواد النباتيـة والحيوانية مثـل الدهـون والبروتين . . وهذا هو السبـب فى أن جثث الملوك تظهر سوداء .

وقد اكتشـف العلماء أيضاً أن بعض البكتريا الحيـة تفرز سمومـاً تؤدى إلى مرض الدفتيريا . . وبعضها قد أدى بالفعـل إلى الإصابة بالا لتهاب السحائى فى المخ ـ وهذا بالضبط هو الذى أصاب أكثر الأثريين فى مصر !

هـل يمكـن أن يقال إن الفـراعنـة قـد اكتشفوا الغـازات المهلكـة للأعصاب ؟ والجواب على ذلك : نعم . . لأن هذه الغازات عبارة عن أبخرة بسبب التحلل للأجسام الملكية التى ماتت . ومن هذا التحلل تخرج هذه الأبخرة التـى تدخل أنف كـل من يفتح مقبرة . . أو يقترب من المقبرة الملكية . وخاصة أن بعض المقابر كانت بها فتحات .

وهـذه الغازات السـامة تعتبر الآن مـن « الأسلحـة القتاليـة » . فكل مـن أمريكـا وروسيا وبـريطانيـا وفرنسا قـد صنعت الغـازات السامـة أو الأسلحة الكيمائية أو الميكـروبية . وبرغـم أنها جميعاً قد وقعـت على اتفاقية لاهـاى سنة ١٨٩٩ واتفاقية جنيـف المعدلة سنة ١٩٢٥ ، فإن كـل دولة لديها مايـزيد عن حـاجتهـا مـن هـذه الغازات التـى لاتقضـى على الإنسـان فقـط ، وإنما على الإنسانية كلها ـ إذا أرادت ! ومن المؤكد أن الفراعنة عرفوا ذلك . فهم قد عرفوا الفطريات التى تظهر على القمح . وتؤدى هـذه الفطريات إلى الإصابة «بالنار الباردة» أى بالهرش العنيف والتقلصات فى العضـلات والهلوسة بعد ذلك . . وقد عـانت فرنسا وهـولندا من فطريـات القمح هذه فى سنة ١٨٢٨ وكـذلك ألمانيا سنـة ١٨٥٥ . وتمكن العلماء من استخلاص مـواد سامة من فطـريات

القمح هذه . ومن المؤكد علمياً الآن أن الفراعنة قد عرفوا أضرار هذه السموم واستخدموها . ولذلك ليس غريباً أن نجد هذه العبارة عند مقبرة توت عنخ آمون : « سوف يضربك الموت بجناحيه يا من تقلق سلا م الملك »!

ومن أهم أعراض سموم فطريات القمح هذه الهبوط المستمر والهلوسة والشلل . وإذا عدنا إلى أوائل الذين أصابتهم لعنة الفراعنة بسبب اشتراكهم فى فتح مقبرة توت عنخ آمون . فسوف نجد المكتشف كارتر . . ثم والد سكرتيره الذى أصيب بحالة هلوسة ثم ألقى بنفسه من البلكونة فمات . ثم الطبيب إيلين هوايت الذى أصيب بانهيار عصبى . وكان يقول للأطباء : لا علاج لى . . إننى أعرف السبب !

وكان يعرف « اللعنة » وظل وحيداً حتى الموت ! .

وكذلك د . زكريا غنيم كبير مفتشى الآثار الذى انتحر أيضاً !

والذى يقرأ كتاب « السموم التاريخية » المشهور يجد أن الفراعنة قد عرفوا السموم ذات الرائحة . . والسموم التى لا رائحة لها . . والسموم التى تغلى عند درجة ٢٦ مئوية وتكون لها أبخرة . . والسموم التى تقتل باللمس ، والتى تقتل بالرائحة . . والتى تقتل إذا لامست الأوكسيجين . . وعرفوا السموم المسحوقة والسموم النباتية المائية . . والسموم التى فى الحشرات الميتة فى المقابر . والسموم التى تخرج من فتحات المقابر فى نفس اللحظة التى يقترب منها اللصوص . .

إن الذى حدث للسجين رقم ٦٦٩٥٦ فى زنزانته بسجن سان كونن يوم ٢مايو سنة ١٩٦٠ والمعروف باسم كارل تشمان والذى أفرج عنه ثمانى مرات

قبل إعدامه . . هذا السجين مات بالضبط كما لو كان فى أيام مصر الفرعونية . لقد أدخلوه الزنزانة وأجلسوه على الكرسى وسحبوا الأرض من تحته . . وفى هذه اللحظة انفتحت أنبوبة . . فى الأنبوبة سم راح يغلى بمجرد تعرضه للهواء . . وخرجت الأبخرة فمات السجين بعد نصف دقيقة وهو لايدرى أنه مات . .

وبرغم أن هذه التفسيرات العلمية تساعد إلى حد كبير على فهم هذه الاحتياطات العجيبة التى وضعها الكهنة ـ أطباء وحكماء وعلماء مصر القديمة ـ خوفاً على حياة المومياء الملكية ، فإن هناك حوادث يصعب تفسيرها .

وربما هذا الخوف هو الذى دفع المخابرات السوفيتية إلى أن تبعث ببرقية لخروشوف تقول له : لا تدخل الهرم الأكبر لأى سبب !

ولم يدخل خروشوف الهرم ، ولم تذكر روسيا أى تفسير لذلك ـ كما سنرى .

* * *

إنها قوة خفية
تعطل قوانين الطبيعة

احترس هنا مواد مشعة ! جاءت هذه العبارة على لوحة من الرخام بالقرب من شلالات إيداهو بأمريكا فلم تكن هذه المواد المشعة سوى ثلاث جثث لخبراء ماتوا فى داخل مفاعل ذرى أصابه خلل فى الساعة التاسعة ودقيقة واحدة من صباح ٣ يناير سنة ١٩٦١ . واستغرق هذا الخلل جزءا على عشرين ألفاً من الثانية . وفى ذلك اليوم جاءت روافع إليكترونية وحملت الجثث وألقت بها فى توابيت من الأسمنت المسلح المبطن بالرصاص . والذى ينظر إلى وجوه الموتى الثلاثة ، يجد ذلك الهدوء العجيب الذى نعرفه فى الموتى من علماء الآثار . . إن نوعاً من الهدوء الخائف ، أو الخوف الهادئ هو أهم ما يميز ضحايا اللعنة الفرعونية !

وفى عام ١٩٤٩ أعلن عالم الذرة الكبير بوجاريني يقول : إننى أعتقد أن الفراعنة قد عرفوا جيداً قوانين التفكك الذرى . . وأعتقد أيضاً أن الكهنة كانوا

يعرفون اليـورانيوم . ولا أستبعد أنهم استخدمـوا المواد المشعة فى حماية موتـاهـم بعيداً عن أيدى لصوص المقابر .

فهل لعنـة الفراعنة هـى هذا الدرع الـذى لحماية مـوتاهم العظـام : يقول بورجارينى أيضاً : إن أرضية المقابر الفرعونية يمكن تغطيتها باليورانيوم ويمكن وضـع أى قدر مـن الأحجـار ذات الإشعـاع فيها أو على جـدرانها . . وهـذه الإشعاعات فى استطاعتها أن تقتل وبسرعة .

ولو رجعنا إلى سنـة ١٨٩٩ لوجدنا العـالم الفرنسى بيكريـل قد اكتشف أن أملاح اليـورانيوم تنطلـق منها إشعاعـات تشبه أشعة إكـس ـ الأشعـة السينية واهتدى العالم الألمانى رتنجن إلى نفس الشىء . فكلاهما قد اكتشف بالضبط ما اهتدى إليه الفراعنة مـن ألوف السنين . . وعلى أثر هذا الاكتشاف الحديث انتشرت موضـة الساعـات ذات الأرقام المضيئة . وكـانت مصـانع السـاعات تستعين بالسيـدات والأطفال فى وضع النقط الفـوسفورية المضيئـة على واجهة الساعة . وقد أدى استخدام هذه المواد المشعـة إلى وفاة ٤٢ عاملة بالسرطان . ولم يعرف أحـد سبب هذا النوع مـن الوفاة . . تماماً كما حـدث لعلماء الآثار . وكـانت أعـراض الجميـع واحدة . الإرهـاق الشـديـد . الهبوط المستمـر . . والاضطرابات المخية . . ثم الوفاة قبل الأوان !

ومـن المؤكد أن القليـل مـن المواد المشعـة يكفى للقتـل . . والمواد المشعـة تختلـف تماماً عـن السموم . . فـالسمـوم يمكن إبطـال مفعولها . . أمـا المواد المشعة فهـى تتزايد ولا تنقـص ثم إنها تبقـى فى الجسم ولا تتحول كيميـائيًّا إلى شىء آخر . ووجودها يؤدى إلى خلل فى بناء الخلايا .

وأمـامنا ألـوف الأمثلـة فى اليـابان بعـد انفجـار قنبلتـى مدينتـى هيروشيما ونجازاكـى . فقد كـان معدل الوفـاة بسبب الإشعـاع الذرى ٢٠٠ سنـويا . و١٥٠ تشوهاً خلقيـاً . ومن الحوادث المعروفة أن زورق صيـد يابانياً قـد سقط عليه مطر ذرى ـ أى مطر ملوث بالغبار الذرى ـ وكان ذلك فى أول مارس عام ١٩٥٤ بسبب قنبلـة هيدروجينية فجـرها الأمـريكان فى جزر مـارشال ، فمات ثلاثون بحاراً فـوراً . . أما العشرون الباقون فقد ظهر عليهـم الإعياء والضعف والهزال والهلوسة والإغماء حتى الموت ـ تماماً ككل علماء الآثار المصرية ! .

وقد ذكرت قبل الآن أن سبب إصابة علماء الآثار ولصوص القبور أيضاً هو إما الروائح التـى تنبعث من القبر نفسه . . أو من تحلـل المواد المشعة فى داخل المقبرة . . أو الأبخرة التى تنطلق من تحلل مواد التحنيط حول جسم الملك . . أو هى جميعـا بعد أن تضاف إليهـا إشعاعـات المعادن والتعاويـذ الموجودة فى التابوت .

ومـن أعجـب الحوادث فى العصر الحديـث مـا أصـاب قبطـان البـاخـرة «تيتانيـك» التى اصطدمـت بأحد جبـال الجليد فغرقـت يوم ١٤ أبريـل سنة ١٩١٢ ، وكانـت أجمل وأكبر وأروع وأسرع البواخـر التى ابتـدعها الإنســان . وكانـت الباخرة تحمل ٣٢٠٠ راكـب مات منهم ١٥٠٠ و٤٠ طن بطـاطس و ١٢ ألف زجاجة مياه معدنية و ١٧ ألف كيس بن و ٣٥ ألف بيضة .

وأعجب من ذلك أنها كانت تحمل مومياء فرعونية لواحدة من الكاهنات أو إحدى الأنبيـاء فى عصر الملك إخناتون ، وكـانت هذه المومياء فى طـريقها إلى أمريكـا . . وقد كـان قبطان الباخـرة واسمه الكابتـن سميث قـد خاف على تابوت هذه الكاهنة فوضعه بالضبـط وراء غرفة القيادة . وكانت هذه الكاهنة

قد عثروا عليها فى معبد فى تل العمارنة اسمه « معبد العيون » . وكانت صاحبة المومياء تحمل تعويذة تحت رأسها مكتوباً عليها : « انهض من سباتك يا أوزوريس . فنظرة من عينيك تقضى على أعدائك الذين انتهكوا حرمتك المقدسة ! » .

ولا أحد يعرف بالضبط لماذا كان كابتن السفينة مجنوناً قبل أن تغرق السفينة بيوم واحد . . ولا لماذا أصر على أن يقود هو السفينة . وهل صحيح أن الكابتن كان مخموراً أو كان مجنوناً ! ولماذا راح يصرخ طول الليل ويقول : الأشباح ! العفاريت ! إننى سيد هذه الجزيرة العائمة ! أفعل بها ما أشاء !

مع أن أحداً لم يكن يناقشه فى ذلك اليوم . فهو سيد السفينة لا جدال ثم إنه لا داعى مطلقاً لأن يتولى قيادة السفينة وكل شىء فيها وحولها هادئ تماماً؟! .

لابد أن الفراعنة عرفوا المواد المشعة . .

ونحن نعرف أن اليورانيوم إنما يوجد فى المناجم التى يوجد بها الذهب . والمصريون قد عرفوا الذهب . . وكانت لهم مناجم ، وليس من المعروف الآن إن كانت هذه المناجم ماتزال عامرة بالذهب . . ولكن من الاكتشافات الغامضة أن علماء الآثار عندما نزلوا فى أحد المناجم ، وجدوا نقشًا على الحائط يقول : هنا الكاتب إمحتب ! فما الذى يفعله الكاتب فى هذا المكان . ؟ ليس صدفة أن ينقشوه تحت الأرض . . ولكن السبب ليس معروفاً عند أحد . .

إنهم الكهنة الذين يعرفون . . وهم الذين يخفون علمهم معهم فى قبورهم

بعيداً عن الناس .

وعندمـا ننظر إلى حضارة مصر الفـرعونية سـوف تكون الأهرامـات فى قمة الألغـاز العلمية . . لا أحـد يعـرف لماذا بنوهـا ؟ ولماذا اختـاروا هذا الشكـل بالذات ؟ وكيف استطاعوا بهذا الاقتدار المنظم أن يصمموها دون خطأ وبدقة فلكية ماهرة .

إن عالم الفيـزياء لـويس الفـاريز ـ أو الفـاريث ـ الحائز على جائزة نـوبل والذى قرر سنة ١٩٦٥ الاستعانة بالأشعـة الكونية فى معرفة أسرار هرم خفرع يؤكد أن الفراعنة قد عرفوا أشياء كثيرة لم نهتد إليها بعد .

فقد جاء العالم الفاريز بثلاثين طناً من الأجهزة ووضعها فى داخل الهرم وفى أماكن مختلفة . . إنـه يريد أن يعرف إن كانت هناك غرفـة أخرى فى هرم خفرع غير التـى اكتشفها سنـة ١٨٨٠ العـالم الأثرى الإيطـالى بلتسـونى . ولم يكـد الفاريز يكمل تركيب الأجهزة حتى نشبت حرب ١٩٦٧ . وعاد بعد نهاية هذه الحرب يجرى أبحاثه مستعينا بكبـار العلماء المصريين : د . أحمد فخرى الأثرى المعروف و د . فتحـى البديـوى عالم الفيـزياء النـووية . وانتهـى الفاريـز من أبحاثه إلى أن هرم خفرع ليست به إلا غرفة واحدة .

ونظريـة الفاريز تعتمد على التقـاط الأشعة الكونية التـى تتحول إلى ذرات ميزون قادرة على النفاذ من أية مادة . هذه الذرات سوف تكون أسرع فى اتجاهها إلى الأجهزة إذا صادفت تفريغا أو غرفة فى داخل الهرم .

وعلى الرغـم من أن هذا الأسلوب الحديـث فى الأشعة الكونيـة قد حدد أنـه لا توجد غرفـة أخرى ، فإن العلـم لم يجد لنا إجابة عـن هذا

السؤال : ولماذا الهرم ؟ أى ولماذا الشكل الهرمى ؟

وفى سنة ١٩٦٤ زارنـا خروشوف سكـرتير الحزب الشيوعى السـوفييتى . . وأقام فى مصر ١٦ يـوماً وشهـد تحويل مجرى النيـل . . وكان مـن الطبيعى أن يذهـب إلى مينا هـاوس التى أنشئـت قبل ذلـك بمائة عام ، وأن يسمـع قصة تشرشـل وروزفلت وتشـانج كـاى شيك الـذيـن اجتمعوا فى هـذا المكان سنـة ١٩٤٣ . . وقد قيـل له أن تشرشل وتشـانج كـاى شيك قد دخـلا الهرم . أما روزفلت فلم يدخـل فقد كان مشلولا يتحرك على عجلات . وكـان من المتفق عليه أن يـدخل خـروشوف الهرم الأكبر . . لولا أن جـاءت برقيـة عاجلـة من المخابرات السوفييتية من موسكو تقول : ننصح بشدة ألا تدخلوا الهرم الأكبر!

ولم يدخل خرروشوف الهرم . . ولا اعتذر عـن البرنامج الذى أعد له . ولا أعلنت السفارة تفسيراً أو تبريراً لهذا التغيير المفاجئ !

فما الذى أخاف الروس من الهرم الأكبر ؟

إن فى مصر ٦٩ هرماً . . وهذه الأهرامات لم تظهر فجأة على أرض مصر. . وإنما هى صـورة للتطور المعمارى والعلمـى . . فقد قـام المهندسـون المصريون بتجـارب عديـدة مـن أجل بنـاء الهرم ابتـداء من الملـك سنفـرو حتى الملـك خوفو. . فهل هذه الأهرامات مقـابر للملوك ؟ هل هى مخازن للأسرار العلمية والفلكية والطبية ؟

إننا لانعرف بالضبط . . أن هرم خوفو الذى استغرق بناؤه عشرين عاماً قد عدله المهندس ثلاث مرات . . ولكن هذا التعديل يضاعف من دهشة العلماء والمهندسين . . إن المصريين كانـوا يستخدمون مقياسـاً اسمه « ال » أو « عل» وهو عبـارة عن سبعة أشبـار وكل شبر أربع أصابـع . . وقاعدة الهرم وحـدها

٣٦٥,٢٤ «ل» وهو بالضبط عدد أيام السنة الشمسية تماما ووفقاً لأحدث المقاييس الفلكية ! وعلى الرغم من أن الـ « ال» هذا ليس مقياسا دقيقا . فإن أبعاد الهرم طولا وعرضا وحجما ووزناً فى غاية الدقة .

ومن الملاحظ أن التحنيط الشديد التعقيد كان سابقاً على بناء الأهرامات . فلما بنيت الأهرامات لم يعد « الحنوطى » - أى الحانوتى يلجأ إلى استخدام المواد الكثيرة لحماية جثمان الميت . . لماذا ؟ لأن الشكل الهرمى هو أنسب الأشكال لحفظ الجثث من التعفن . . وحفظ اللحوم جميعاً من التعفن - كما ذكرت من قبل .

والشيء الغريب أن هذا الشكل الهرمى يصيب العقل بالخلل أو بالخبل - حدث ذلك مئات المرات . . والمرشدون السياحيون يعلمون هذه الحقيقة . . فكثيراً ما صرخ السياح . . أو أغمى على سائحة عندما أحست بضربة فى بطنها أو رأسها . . ولم يكن هناك أى أحد بالقرب منها - لعل ذلك هو الذى أفزع المخابرات السوفييتية على رجلها فى القاهرة .

إن قصة بول برونتون البريطانى الذى استأذن مصلحة الآثار المصرية فى أن يبيت ليلة فى غرفة الملك أحمس نموذج لذلك . . يقول فى مذكراته : « أمضيت بضع ساعات فى الممر الكبير . . ثم اتجهت فى ضوء مصباح إلى غرفة الملك . . واتجهت إلى أحد أركانها وبدأ بعد ذلك الفزع الأكبر . . صفير فى أذنى . . وشرر يخرج من عينى أو يدخل عينى . . ورائحة ثقيلة تضغط على صدرى . . وإحساس بأن أمامى أشباحاً وأشكالاً مروعة تروح وتجيء . تقترب وتبتعد والأرض من تحتى تعلو . . . والسقف من فوقى يهبط . . وجسمى ينتفخ . . ثم يتضاءل . . ولسانى لايطاوعنى عندما أحاول أن أبتلع ريقى . . ثم إننى لا أجد ريقى . . وأخيراً وجدتنى عاجزاً عن الصراخ وكان

العرق جليدياً . . وحاولت أن أتسلل من الغرفة ولكننى وجدت نفسى مشلولاً تماماً .

وفى سنة ١٩٤٢ توفى اثنان من علماء الآثـار . . وربما كان هذا الحادث هو الذى لفت عيون العلماء فى العالم كله إلى هذه اللعنة الفرعونية .

ففى مدينة القدس يوم ٢٨ يوليـو سنة ١٩٤٢ توفى العالم البريطانى فلندرر بترى .

وتوفى قبلـه العالم الأمريكى جـورج ريزنر . . وكـان هذا الرجل هـو الذى اكتشف مقبرة أم الملك خوفو . . وهو أول من أذاع حـديثاً فى الراديو من غرفة الملك فى هرم خوفو سنة ١٩٣٩ . . هـذا الرجل توفى فى ربيع سنة ١٩٤٢ . . لقد دخـل الهرم الأكبر ، واستلقى مرهقـاً فى غرفـة الملك . . ثم شعـر بهبوط شديـد . . وحملوه إلى خارج الغـرفة . . ونقلوه إلى خيمـة له بالقـرب من الهرم مغمى عليه حتى الموت !

هل هـو شكل الهرم ؟ هـل هناك مـوجات كهـربية لا نعـرفها ؟ هـل هذا الشكل الهرمى يحتجز الطاقة ثم يطلقها ؟ هل هو يكثف الأشعة ثم يصيب بها من يزورونه ؟ إن أحداً لا يدرى تماماً!

إن الزعيـم الشيوعى فـريدريش إنجلـز قد أعلن فى سنـة ١٨٧٨ أن حرب بروسيـا وفرنسـا قد اعتمـدت على أعظم مستـويات العلـم الحديث فى ذلـك الوقت . . لأنها استخدمت المدافع التى تلقى قذائفها على الجنود من بعيد ! إن هذه العبارة تضحكنا الآن ! فقد تجاوز العلم مـرحلة استخدام المدافع . . لقد استخدم القنابل الذرية . حتى القنابل الـذرية أصبحت موضة قديمة . فقد ظهر شـىء أحدث من ذلـك . . ظهرت أشعـة « الليزر » التى اكتشفـت سنة

١٩٦٠ هذه الأشعة عبارة عن تكثيف الأشعة الضوئية ، وإطلاقها على شىء فتنفذ منـه إن الإنسان يستخدم الليزر فى حفـر الأنفاق وفى ترقيع قـرنية العين أيضاً !

ولنفرض أن د . تيودور مايمان الذى اكتشف الليزر قد اتفق مع رجاله على أن يحتفظوا بسر هذه الأشعة . . وأن الذى يبـوح بها سوف يقتله فوراً . . وأنهم أقفلوا على أنفسهـم أحد المعامل ثـم ماتوا . . وبعد أن مـاتوا وجدنا عنـدهم مصابيح فى داخلها أسلاك حلزونية . . فهل كان يتصور أحد أن هؤلاء العلماء ـ أو الكهنة ـ قد عرفوا أشعـة الموت . هل يتصور أحد أن المصباح العادى جدًّا إذا قمنا بتكثيـف ضوئه تصبح أشعته مميتـة . فمن الذى يستطيع أن يقـول لنا بالضبط ما هذا الذى عرفه الفراعنة . ؟ ما هذا الذى اهتدى إليه الكهنة ؟ ماذا تقول هذه المخلفات العادية جدًّا التى تـركوها وراءهم . . إنها لاتزيد عن هذه المصابيح التى يمكن أن يتركها مكتشفو أشعة ليزر .

ولكن عالماً مصريًّا اسمه د . عمر جهيـد قد أعلن فى سنة ١٩٦٩ أن الذى يحدث داخــل هـرم خفــرع يتنـاقــض مـع كـل قــوانين العلـم الحديــث والإلكــترونيات !

وكان د . عمـر جهيد هذا يتحـدث عن الأشرطة الضـوئية والصوتيـة التى سجلتها الأجهزة التـى وضعها د . الفاريز تحت وفى داخل هـرم خفرع . وقال د. جهيد أيضـاً : « إن الذى أراه أمـامى شـىء غير طبيعى . . إمـا أن تكون هناك غلطـة كبرى فى الهرم نفسه فتؤثـر فى هذه الأجهزة مـا ترصده . وإمـا أننا أمام قوة كبرى لانفهمها . . لا أعرف لهذه القوة اسماً . . هل هى لغز . . هل هى سر . . هـل هى لعنـة الفراعنـة . . هل هنـاك قوى خفيـة تعطل قـوانين الطبيعة وبذلك تلغى كل ما تعلمناه من بديهيات رياضية وقوانين طبيعية . .

أنا لا أعرف هذا السر الغريب العجيب !»

هل الفراعنـة تركوا سموماً . . هـل تركوا مواد مشعة . . هـل استطاعوا أن يختزنوا الطاقة وأن يكثفوها ثم يطلقوها بعد ذلك ! لا أحد يعرف . إن الحضارة الفرعونية ما تزال تحتفظ دوننا بكل أسرارها !

لايـــزال معنـــا وعليـنـــا، طبيب فرنسى مات من ٤٠٠ سنة

أراهن أنك لن تعرف بالضبط ما الذى يفعله هذا الرجل فى غرفة مظلمة فى منتصفها منضدة خشبية . عليها كوب من الماء . والرجل يغمس أصابعه فى الكوب ، ويضع قطرة على جبهته . . ثم على خديه . . ثم بعض الماء يلقيه على قدميه العاريتين . وأخيراً يغمس طرف الثوب فى الكوب . ويظل يحملق فى الماء ساعات ويمد يده إلى الورق ويكتب . ثم يرتمى على الفراش نائماً حتى الظهيرة - انتهى المشهد اليومى فى أعلى سطح أحد بيوت باريس فى أواخر القرن السادس عشر!

هذا الرجل هو أشهر من عرف الطالع فى كل العصور . إنه طبيب فرنسى (١٥٠٣ - ١٥٦٩) . كان يواجه الوباء والأمراض ويشفى الناس . وكانت له وصفات لايقرها الأطباء . واشتهر بين الناس بأنه يعالج الناس روحياً . وأنه ليس صحيحاً أنه كان يشخص الأمراض وإنما كان يلمس المرضى ويعطيهم بعض الماء الدافئ والكثير من الأعشاب . وضاق به الأطباء . وأقبل عليه

الناس . . وعندما اجتاحت الأوبئة فرنسا جنوباً وشمالاً ، كان هو الرجل الذى يخوض الموت ويعطى الأمل ويخفف الأوجاع .

* * *

ولكن هذا الرجل واسمه ميشيل نوسترادام الشهير باسم « نوسترادامُوس » كانت له اهتمامات أخرى . كان يقرأ فى الكتب التى يسمونها الكتب السوداء أو كتب السحر الأسود أو مخطوطات التنجيم . وكان هذا الاهتمام فى سن مبكرة . ولاحظ الذين حوله أنه يتوقع أشياء عجيبة . . ثم تقع . وقبل أن يصارح الناس بهذه النبوءات كان يسجلها سرًّا ، ثم ينتظر أن تتحقق . وكان الكثير جدًّا يتحقق بصورة أذهلته . وفكر أن يعتزل الطب وأن يتجه نهائيًّا إلى التنجيم . ومن الغريب أن هذا الرجل الذى توقع أحداثاً رهيبة وقعت فى القرن العشرين لم يتوقع أن تموت زوجته وابنه وابنته معاً !

إن هذا الحادث الرهيب قد هز صورته ووزنه ونبوءاته عند الناس . ولكنه استطاع أن يسترد قدرته الخارقة عندما استدعاه الملوك والأمراء ورجال الدين . .

يقال أنه حدث فى إحدى المرات وهو مايزال شابًّا صغيراً أن رأى أحد الرهبان فى الطريق ، فركع له قائلا : أهلاً يا صاحب القداسة ! .

واندهش الناس . ولكن هذا الراهب هو الذى أصبح بعد عشرات السنين البابا سكستوس الخامس !

وحدث مرة أخرى أن دعى نوسترادامُوس للغذاء . فقال لصاحب الدعوة لديك اثنان من الخنازير : واحد أبيض وآخر أسود . . وأنك سوف تذبح لنا الخنزير الأبيض أما الخنزير الأسود فسوف يأكله الذئب !

وانتهز صاحب البيت هذه المناسبة وقال للطاهى : اذبح لنا الخنزير الأسود بسرعة . وجاء الطعام وقال نوستراداموس : بالضبط هو الخنزير الأبيض . ولكن صاحب الدعوة أكد له أن هذا الخنزير الأسود . ولكن نوسترادامـوس أصر على أنه الأبيض . وجاء الطاهى واعترف بأن الخنزير الأسود الذى ذبحه تسلل إليه الذئب وخطفه وهرب !

وعشرات الأحداث التى تنبأ بها فى عصره . . ولكن الغريب العجيب فى أمر هذا الرجل أنه أفزع فرنسا وإيطاليا وربما أوربا كلها فى ذلك الوقت ، فلا يوجد بيت لم يترك فيه ورقة . وعلى الورقة كل ما سوف يحدث للأسرة من أولها لآخرها من أحداث سيئة . وهذا لايكلفه أكثر من أن يذهب إلى غرفته ويحملق فى كوب الماء . ويقول إن سطح الماء يتحول بسرعة إلى صفحة متحركة ـ تماماً كشاشة السينما ــ وعليها تجرى الأحداث فى كل اتجاه . . وعلى فترات متباعدة . . عشرات السنين أو مئات السنين . وهو يصف الذى يراه . ويقول نوسترادامـوس : إن عندى موهبة . هذه الموهبة عبارة عن قوة . القوة تملأ جسمى كله . تهزنى بعنف . وأسمع صوتاً وأرى نوراً . . ولا أعرف إن كنت أنا الذى يرى أو أن أحداً يرى لى ويرى بى . . أو كنت أنا الذى أسمع الأصوات . . أو أن قوة أخرى تسمع لى أو تسمعنى . . كل هذا يجرى أمام عينى على سطح الماء الذى يشبه شريطاً يتحرك .

ويقول وهذا أعجب : فى بعض الأحيان أرى الصورة الواحدة تتتابع متكررة مئات المرات ـ تماماً كالذى يحدث لنا ونحن نضبط التليفزيون !!

* * *

وعندما استدعته ملكة فرنسا كاترين دى مديتشى وضعت له ثمانية خيول

على طول الطريق . فوصل إليها من جنوب فرنسا بعد شهر . ولم يكد يصل إلى باريس حتى استدعته . وجاءها الرجل وطلبت إليه أن يرسم طالع أبنائها السبعة فوراً . ومكثت معه أربع ساعات . . وكل ما قاله لها هو أن أولادها سيكونون جميعاً ملوكاً . ولكنه لم يشأ أن يصارحها بالكوارث التى سوف تصيبهم جميعاً !

فقد كان خائفاً أن يتهمه أحد بالكفر أو يتهمه أحد بالاشتغال بالسحر الأسود . . وكان ذلك زمن « محاكم التفتيش » التى تصدر أحكامها العنيفة بالموت حرقاً وغرقاً لكل من يخرج على الديانة الكاثوليكية لأى سبب تافه . وكان هو وأسرته قد تحولوا من اليهودية إلى المسيحية منذ وقت قريب . ومن الحوادث التى جعلته يهرب ست سنوات بعيداً عن باريس أنه رأى واحداً يصيب تمثالاً من البرونز لمريم العذراء . فقال له :

ـ هذا كفر !

وأبلغ عنه الرجل . وأتوا به يسألونه فقال : نعم إن هذا التمثال الردىء يعتبر كفراً بكل القيم الجمالية !

هذا الخوف هو الذى جعله يصدر تقويماً سنوياً غامض العبارة . . وعلى شكل رباعيات تجىء فيها كلمات لاتينية ويونانية وعبرية . . وكان من عادته أن يجعل التقويم الواحد عبارة عن مائة رباعية . . وقد أعلن أنه يتنبأ بما سوف يحدث حتى نهاية سنة ٢٠٠٠ ويتوقع حرباً عالمية لم تعرف لها الإنسانية مثيلاً يوم ٢١ يونيو سنة ٢٠٠٢ . .

ومن الخوف الشديد أيضاً كتب يقول : إن كل كتاب كنت اقرؤه أقوم بإحراقه فوراً حتى لايقع فى يد أحد !

ولكنى أستبعد أن يفعل ذلك رجل باحث وطبيب . وإنما أراد أن يطمئن رجال الدين إلى أن بيته خال من هذه الكتب السرية أو السحرية .

* * *

وقد اعترف نوستراداموس بأنه لم يرفع عينيه عن كتاب قديم اسمه « أسرار مصر » . وهذا الكتاب من تأليف يامبليخوس اليونانى . وأنه وجد فى هذا الكتاب علماً لم يعرفه أحد . وأن كتاب « أسرار مصر » ليس إلا أسرار الكرة الأرضية . وأنه يستطيع عن طريق هذا الكتاب أن يعرف المعابد كلها . .

وفى سنة ١٦٤٩ كان الكاردينال مازاران متسلطاً على القصر الملكى . ولم يستطع خصومه أن ينالوا منه شيئاً . ولكنهم اهتدوا إلى كتاب نوستراداموس «النبوءات » وراحوا ينشرون ماتوقعه نوستراداموس للكاردينال . . وتحطمت أعصاب الكاردينال وراح يجمع الكتاب من كل مكان ، ولكن عاد خصومه يبعثون به على شكل خطابات . . وأحياناً يضعونه فى سلال الفاكهة ويعلقونه على الأشجار ، ويضعونه على المقاعد فى الكنيسة ـ وتحققت كل نبوءات الرجل ضد الكاردينال !

ولابد أن الإمبراطورة جوزفين هى التى أعطت نسخة من هذه « النبوءات » لزوجها نابليون . وهى التى أشارت إلى مواقعه العسكرية . وإلى زحفه على روسيا وانسحابه الرهيب منها . . وعندما أشارت إلى موقعة واترلو وانهزامه المؤكد أمسك الكتاب وأحرقه فوراً ـ وربما كان هذا هو الكتاب الوحيد الذى أفزع نابليون . وأمر بإحراقه فوراً !

وعرف نابليون فيما بعد أن هذا الرجل قد تنبأ أيضاً بقيام الثورة الفرنسية . .

وبإعـدام زعمائها . . وهـو أيضاً الـذى تنبأ بنفـى نابليـون إلى جزيـرة سانـت هيلانة . .

وبعـد هزيمـة نـابليـون عاد النـاس إلى الكتـاب يقلبـون فيه . وضـاقـت العائلات المالكة بهذا الكتـاب . وأخفوه . بل إن أحد الأمراء قد أصـدر كتاباً مزوراً . وجعل لهذا الكتـاب شكل الرباعيات . ولكـن الناس لم تنخدع بهذه الطبعة الزائفة ، وعادوا يقتنون الكتاب العجيب للنبوءات الغامضة . .

وفى خريف ١٩٣٩ بعد أن أعلنت ألمانيا الحرب على أوربا ، واشتعلت نار الحرب العالميـة الثانية . . حـدثت هذه الـواقعة المؤكـدة . كانت زوجـة وزير الدعايـة جوبلز تتمدد فى فـراشها . وسحبت من تحت المخـدة كتاباً صغيراً . وهزتـه . لعله يصحو من النـوم . ولكنه كان مـرهقاً . فهزته بعنـف وفتحت عينيه بالقوة . وأدنت المصباح وقالت له : اقرأ

وأشارت إلى بعض الفقـرات فى كتاب « النبوءات » لنوسترادامـوس وكانت الفقرات التـى تتحدث عن هجوم هتلـر . وزحف هتلر على روسيا . وعـودته مهزوماً . .

وكان هتلر يعتمد على أحد العرافين . .

وكـانت وزارة الـدعـاية تستخـدم أحد الـذيـن يقرأون الطـالـع ويكتبونـه وينشرونه فى الصحف وفى النشرات الدعائية . وبدأت الطائرات الألمانية تلقى بنبوءات نـوستراداموس فى كل الأراضى التـى هاجمتها ألمانيا . . وخصـوصاً فى فـرنسا . ولكـن الكميات الأكبر والأضخـم هى التـى ألقت بها على الشعـب الإنجليزى .

وفى وثائق حرب بريطانيا مع ألمانيا تكلفت الحكومة البريطانية ربع مليون جنيه لتقاوم نبوءات نوستراداموس وذلك بأن تنشر نبوءات مضادة لنفس الرجل ، ولآخرين من علماء التنجيم وقراء الكف وضاربى الودع وفاتحى المندل ـ وكل ذلك ثابت فى سجلات الحرب البريطانية . .

بل إن واحداً من كتب المخابرات البريطانية قد روى قصة حرب الأعصاب التى سلطوها على هتلر نفسه عندما حاولوا استخدام ذلك « العراف الخاص » لهتلر . ونجحت المخابرات البريطانية فى أن تجعل هذا العراف يتنبأ لهتلر بالفشل فى وقت مبكر . وقد غضب عليه هتلر . ثم عاد فاسترضاه . وكان من بين الحيل التى لجأت لها المخابرات البريطانية : نبوءات هذا الطبيب الفرنسى !

ومن أعجب نبوءات هذا الرجل : مصرع موسولينى وانتحار هتلر . . ومقتل الأخوين كنيدى . . وسقوط بيرل هاربور أمام القوات اليابانية . . ومصارع عشرات الملوك والرؤساء .

فمثلاً عندما تنبأ بمقتل كنيدى كانت عبارته هكذا : الرجل العظيم فى أعظم دولة تصرعه صاعقة فى عز الظهر . . وأخوه بعد ذلك » .

وتنبأ أيضاً باحتراق الأسطول الفرنسى فى الإسكندرية ، فقال : وتنبأ أيضاً باحتراق الأسطول الفرنسى فى الإسكندرية ، فقال : يغرق الأسطول بالقرب من البحر الأدرياتيكى . ومصر تهتز كلها . والدخان يتصاعد ويحتشد المسلمون » .

فقد حدث ذلك سنة ١٧٩٩ عندما وصل نابليون إلى مصر وأرسى سفنه فى مياه أبو قير عندما جاء نلسون بأسطوله وأغرق المراكب الفرنسية . .

وتوقع حـرب ١٩٤٨ واستيلاء اليهود على أرض فلسطين قال : « فـالدولة الجديـدة تحتـل أرضـاً حـول سـوريـا ويهوديـا وفلسطين . . وتنهـار القـوات البربرية» .

القوات البربرية هى القوات غير المسيحيـة . فقد كان من المألوف فى أوربا أن يوصف كل من ليس أوربيًّا بأنه بربرى ، وبعد ذلك أصبح البربرى هو كل من ليس مسيحياً . فـالقوات البربرية التى يتحدث عنها هـى القوات العربية الإسلامية . .

وربما هو الذى تنبـأ بها يحدث على صحراء المغرب ـ وهذا استنتـاجى أنا . فقد جاء على لسان نوستراداموس : إن القوات البربـرية سوف تأخذ أرضاً من إسبانيا . وسوف تسيل الدماء . .

أى أن القوات العربيـة سوف تسترد أرضاً كانـت تحتلها إسبانيا ـــ ربما كان ذلك !

* * *

والعجيب أن هذا الكتاب تصدره المطابع اليهودية فى أوقات معروفة . فقبل الحروب تبيعه على جانبى المحاربين . .

فمثلاً قبـل حرب ١٩٤٨ انتشر هـذا الكتاب فى العـالم العربـى ، وظهرت فقرات منه مترجمة فى الصحف البريطانية والفرنسية . .

وقبل النكسة نشرت الصحف الإسرائيلية مع الحفـاوة الشديدة فقرات تؤكد انتصار اليهود وهزيمة العرب . .

وفى سنة ١٩٧٣ أعيد نشر النبـوءات ، ووجد اليهود أن قائداً عـربياً اسمه

«محمد» سوف يسيل الدماء ويتنقل بعد ذلك فى رحلات طويلة إلى أوربا . .

ونشرت صحيفة يهودية أيضاً أن هذا القائد سوف ينتصر . وأن الصحف الأخرى قد حرفت فى نبوءة نوستراداموس . .

فهذا الطبيب الفرنسى الذى عاش فى العصور الوسطى ، ما يزال بعد أربعة قرون ، يعمل فى كل الجهات مع الجميع وضد الجميع أيضاً !

شئ وراء العقل

على كتفيك شئ عجيب لا تعرفه

الإنسان حيوان قد أدمن الأطباء . . أو أدمن الدواء، دون أن يكون هناك شفاء . كم مرة ذهبت إلى الطبيب وطلب إليك أن تأخذ لك إجازة ، أن تمدد رجليك وتجلس فى الشمس أو تنقص وزنك قليلا أو قال لك مداعباً : إن الدنيا لاتساوى . . هون عليك . . ما الذى أخذه الذين قبلنا . لا شىء . . وماذا سوف نأخذه . . نفس الشىء . . أى لا شىء . .

وقد لايتسع وقتك لكى تفكر فى الذى همس به الطبيب . وتجد أنه على حق . ولكن الدنيا تأخذك من نفسك ومن الطبيب وتملأ أذنيك بأوجاع أخرى وتعود إلى الطبيب . وتنشغل به طول الوقت بهذا البيت الذى تسكنه ـ أى بجسمك . فهو الشىء الوحيد الشخصى جدًّا فى حياة أى إنسان . فنحن أفكارنا تتشابه وهمومنا وأمراضنا ، ولكن أجسامنا تختلف تماماً . ومن النادر أن نخرج عن هذه الأجسام ونفكر : كيف يعمل هذا الجسم . . ومن الذى يديره من الذى يصونه . . أو « ما» الذى يحركه وينظمه ويوجهه ويوجهنا جميعاً؟

إن هذا البحث الصعب يبدأ بملحوظة صغيرة : فأنت عندما تذهب إلى الطبيب تشعر بشيء من التحسن ، حتى قبل أن يراك . . بل يحدث كثيراً أنه بعد أن تحصل على موعد لقاء مـن الطبيب تشعر بشيء من التحسن . لماذا ؟ وكيف ؟ وأين تتم هذه الحالات النفسية ومـا هذا الذى أدى إلى تحسنك . هل هـو صـوت الطبيب . . هـل هى عيـادة الطبيب والشهـادات المعلقـة على الجدران . . هل هو الزحام الذى يؤكد لـك أن الطبيب ممتاز بدليل هذا الاقبال عليه . . هل هـو مجرد أن يراك وأن تراه وأن تشعر معه وإلى جـواره بالأمان . . هل هى الـرغبة العميقة فى الشفاء . . ثـم أين تجرى هذه المشاعـر كلها وكيف تؤثر على جسمك ، على وظائفك ، على متاعبك ؟

هـذه هى البـدايـة الصغيرة لهذه الـرحلة الطـويلـة العميقـة داخل العقـل الإنسـانـى . والسؤال بصـورة أخـرى ومـرة أخـرى : كيـف يؤثـر عقلـك فى جسمك! ثم أين هو هذا العقل ؟

* * *

إن الكثيرين من المرضى قد تحسنت حالتهـم الصحية عن طريق عقولهم . عشرات الأمثلة تؤكد أن الطب وقـف حائراً أمام المرض والمريض . وفجأة ، أو بمعجزة ، تحسنت صحة المريض . والسبب هو المريض نفسه .

إن مريضـاً قد يئس منه الطـب الحديث ، طلب بعض الأفـلام المضحكة وبرغم عجزه عن الضحك فإن هذه الأفلام قد هزته من أعماقه قد أسقطت عنه متاعب وهموماً فى وزن الجبال . إن الأطباء يقفـون حول المريض يرون ما الذى يقـدر عليه الضحـك وعجزت عنـه الأشعـة . . واستطاع الضحـك وإصرار المريض وعقله أن يحير الأطباء وأن يخفف الداء حتى الشفاء . . وما من طبيب

إلا عنده عشرات الأمثلة . وكلها ذات معنى واحد : أن العقل يستطيع بتأثيره على الجسم الإنسانى أن يحقق الشىء الذى ليس وارداً فى كتب الطب !

* * *

إن كتب الطب تروى هذه القصة أو عشرات مشابهة لها : إن فتاة صغيرة قد سمعت وقرأت عن قصة عذاب المسيح وصلبه ودق المسامير فى يديه وقدميه وتأثرت الفتاة بهذه القصة حتى أخذت الدماء تنزف من يديها وقدميها وجبهتها . والعجيب الذى حير الأطباء أنه لا يوجد تمزق فى بشرتها . . وأن الدماء تنزف كأنها قطرات عرق .

ومعنى ذلك أن العقل يستطيع أن يؤثر على الجسم كله : على وظائفه وعلى خلاياه !

إن الملك لويس السادس عشر قد كون لجنة غريبة . . هذه اللجنة تضم عالماً كيماويًا هو لافوازييه وسفيراً أمريكيًّا فيلسوفًا هو فرانكلين . . وطلب إلى اللجنة أن تبحث هذا الموضوع : كيف يمكن لرجل الدين أن يشفى أمراض الناس . وطلبت اللجنة من الملك أن يدلها على المرضى الذين تم شفاؤهم . وجاءوا لهم بالمرضى . وعاد العلماء بتقرير جاءت فى نهايته هذه العبارة : تم الشفاء للجميع عن طريق الخيال . لقد قال لهم رجل الدين : تخيلوا أنكم شفيتم ، وأن أوجاعكم ذهبت ، وأنكم تطيرون فوق السحاب ، وأن الله قد غفر لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر . . وخفت كل الأجسام التى أثقلتها الأوجاع » .

وكذلك يفعل رجال كل دين وكل عقيدة . .

ولكن مـا هو هذا العقـل ؟ أين يوجد ؟ كيـف يعمل ! كيف يـؤثر على الجسم كله !

الجواب لا أحد يعرف أين يوجد عقلك . وكل ما يستطيعه الطبيب هو أن يقـول إن لك مخًّا . وأن هـذا المخ وزنه كـذا ولونـه كذا . وأنـه لا فرق بين مـخ العبقرى ومخ العبيط ، فالعالم الكبير أينشتين عندما أوصى بتحليل مخه ، لعل أحداً يهتدى مـن بعده إلى سر عبقريته ، لم يجد العلماء فـرقًا بين مخه ومخ أكبر الناس غباوة . إذن ليـس هو الحجم ولا الوزن ولا اللون . . وكـل ما يستطيعه الأطباء هـو أن يقولوا لك : هنـا مركز السمع . . وهنـا مركز الرؤيـة . . وهنا المراكز الحركية . . أما الذاكرة فلا يعـرف أحد أين هى فى هذه المادة السنجابية اللون المليئة بالخطوط الدقيقة جدًّا . .

هناك مخ : هـذه حقيقة تشريحية . . ولكن لانعـرف أين مكانه ومـا الذى يجعله ذكيا أو غبيًّا أو عبقريا . لا أحد عرف حتى الآن . .

وكل ما يعرفه العلماء هو تجاربهم على الفئـران والقطط والأرانب ، فهم قد فتحـوا أدمغتها وأخـرجـوا مخهـا وشرحوه وقطعـوه ووزنـوه وحـركوه وشلـوه . . وينتقلون بعد ذلـك إلى مخ الإنسان . ولكن التجارب التـى أجريت على المخ الإنسانى وتمزيقه وتشريحه وهو مايزال حيًّا قليلة جدًّا .

ويجلس الإنسـان أمام الطبيـب النفسى فيسـأله لعلـه يعرف عقلـه : . . حدثنى عن أحـلامك . . عن طفولتك . . أو حدثنى ولا تتـوقف عن الكلام أو كما قال سقراط من ألوف السنين : حدثنى لكى أراك !

وتظل تتحدث والطبيـب النفسى يقوم بتركيب أفكارك وأحـلامك ويصنع منها صـورة لعقلك ولحيـاتك وأنـت طفل . ولمستقبـل حياتـك . . ولذلـك فالتحليل النفسـى فن وليس علماً ، لأنه يعتمد فى الدرجـة الأولى على مانقول

وعلى «تأليف» الطبيب بعد ذلك !

إن علماء النفس عندما يسألونك لكى يعرفوا عقلك تماماً كالذى يطلب إليك أن تضع يدك فى جيبك وتخبره عن الذى فى جيبك دون أن تخرج يدك منه . . فأنت تقول : وهو لايعرف إن كنت تقول الحقيقة أو تكذب . .

ولكن هذا هو كل ما نستطيع أن نعرفه عن عقولنا . .

* * *

وإذا كان الإنسان حيواناً قد أدمن الأطباء ، فهو فى الحقيقة قد أدمن العقاقير . وهذه العقاقير هى التى تفتح أبواب ونوافذ العقل . . أو هى التى ترمى حدود العقل إلى الوراء . . أو هى التى تزعزع البيت الذى نسكنه حتى الموت ـ أى أجسادنا ـ فأنت عندما تصحو من النوم حتى تنام تتناول هذه العقاقير المختلفة :

الأسبيرين . . والنيكوتين الموجود فى السجائر . . والكافيين الموجود فى الشاى والقهوة والكاكاو والكوكا . . والكحول . .

وهذه العقاقير التى تؤدى إلى الإدمان برغم أنها ضارة ، فإن أحداً لا يعيب على مدمن القهوة أو السجائر أنه يفعل ذلك . . إننا نلوم من يدمن الحشيش أو الأفيون . . فمدمن الشاى والقهوة والسجائر لا نقول إنه مدمن وإنما نقول إنه « كييف » . ولكن الذى اتخذ من الأفيون والحشيش مزاجاً نقول إنه «مدمن» . . إن الأضرار واحدة بدرجات متفاوتة وتؤدى إلى نفس الاضطرابات وتؤدى إلى « توسيع الحدود العقلية » . .

وفى استطاعتك أن تتساءل : ما فائدة القهوة والشاى أو السيجارة ؟

ويكون الجواب : أنها تؤدى إلى نوع من جلاء البصر والروقان . . وتؤدى إلى اعتدال المزاج . . وإلى إزالة غشاوة أمام العين . . أو غشاوة على العقل . . بالاختصار : من غيرها لا تستطيع أن تؤدى عملك على النحو الذى تراه أفضل !

والمدمنون لديهم ما يقولونه أيضاً . .

ما هذا الذى يحدث بالضبط ! هذا هو السؤال الثانى .

والسؤال الأول كان : ما هذا العقل ؟ وكيف يؤثر على أجسامنا ؟ لقد حدث من عصور قديمة جدًّا أن عرف الإنسان أثر العقاقير على عقله . . فقد تعاطى الناس فى كل الحضارات القديمة هذه الأعشاب التى تحرك خيالهم وتجعلهم يتصورون أنهم يعيشون فى جنات أو فى جهنم . . إن الكاتب الكبير جوليان هكسلى قد جرب مادة المسكالين على نفسه وسجل ما يشعر به بعد ذلك . . إنه رأى عالماً عجيباً من الألوان والأشكال والأحجام عالماً تحولت فيه كل صورة إلى لون . . إن الشاعر الكبير جريفز الذى درس الأساطير الإغريقية يؤكد لنا اليوم أن الإغريق كانوا أكبر حشاشين فى تاريخ الإنسانية . وأنه من وحى الحشيش تحولت الجبال إلى حيوانات والحيوانات إلى آلهة . . والآلهة إلى حيوانات . . وأصبح الصغير جدًّا كبيراً جداً . . إلى آخر الأساطير الإغريقية كلها . .

إن هذه الأعشاب هى التى حركت العقل ، وأطلقت خياله ، ووسعت حدوده وأسقطت من حول العقل كل ما اعتاد أن يراه وأن يسمعه . . لقد جعلت العقل على غير عادته ، أو جعلته فوق العادة . .

* * *

وفى العصر الحديث وقعت حادثة ذات دلالة خطيرة . وهى حادثة اكتشاف طبيب سويسرى اسمه البرت هوفمان يوم ١٦ أبريل سنة ١٩٤٣ . هذا الطبيب كان يعمل لحساب شركة ساندوس للأدوية . وكان مشغولا ببعض الفطريات التى تنمو على حبات القمح ، وهذه الفطريات قد استخدمت قبل ذلك فى القضاء على الصداع وآلام الولادة . ولكنه لاحظ عند عودته إلى البيت أنه فى حالة هلوسة . . كل الألوان والأصوات تداخلت وتلونت ولاحظ أيضاً كأنه اثنان فى وقت واحد : واحد يهذى والثانى يرقبه من بعيد . . واستدعى طبيباً . وبعد ساعتين أفاق من هذه الحالة . وعرف فيما بعد أن السبب هو العقار الذى اكتشفه واسمه : ل . س . د . ٢٥ وهذا العقار يقاس بالميكروجرام — أى بواحد على مليون من الجرام - وأن قرصاً من حجم الإسبرين كاف لإصابة عشرة آلاف إنسان بالهلوسة .

فهذا العقار يؤدى إلى إطلاق العقل وتهييج الذكريات كلها . . ويصبح الإنسان قادراً على أن يتذكر كل شىء حدث له منذ الطفولة حتى آخر لحظة . وكلها بنفس الوضوح .

ومعنى ذلك أن العقل مليان . وأن العقل من الممكن إثارته وإحياؤه وإنهاضه وتوسيعه وإطلاقه إلى الوراء وإلى الأمام . . وأن هذا لايتحقق إلا بهذه العقاقير . .

وقد عرف الأطباء كيف يجعلون الإنسان رائداً للفضاء العقلى ، للفضاء الداخلى . . وذلك بأن يعطوه هذه العقاقير ، ثم يتركوه يروى ويصف .

* * *

ولكن كيف يجب أن نفرق بين عقاقير للهلوسة ، أى نجعل الإنسان يقول ويصف ما لايدرى به . . وبين عقاقير تجعل الإنسان يقول ما يدرى به . . فعقار ل . س . د ٢٥ ليس عقاراً للهلوسة وإنما هو عقار « لتوسيع المخ » أى « سيكدلك » ـ باللغات الأوربية .

وقد توقفت شركات الأدوية السويسرية عن إنتاج هذا العقار . فقد كان عقاراً تجريبيًّا . ولكنه انتشر فى العالم كله . وأصبحت له جماعات وديانات وفلسفات . وأحس الشباب فى كل العالم أن هذا العقار هو رسول السلام . . هو قذيفة تطلقهم إلى الفضاء الداخلى ، يرون ويسمعون ويتمتعون هرباً من دنياهم واعتزازاً بتلك الكنوز الدفينة فى العقل الإنسانى . وأن هذه الفرصة الذهبية التى حققها العلم للإنسان الذى استغرقته الحياة المادية والخوف منها والخوف عليها . . وأنه لانجاة للإنسان من هذا الذى استغرقه حتى أغرقه . إلا بتعاطى عقاقير الهلوسة وتوسيع المخ . . وتوسيع الهوة بين الأجيال . . بين الآباء والأبناء . بين الشعب والحكام . . بين ما يتمناه الناس وبين الذين يجدونه فى أيديهم ولا يرضيهم . . وأن هذه هى لحظة الانتقام من كل الذين حشروا الأجيال الشابة فى قوالب من حديد . . فى دبابات وطيارات وشحنوهم من أجل الموت بلا قضية . . إنها فرصة نادرة لنزع قشرة العقل الإنسانى . . لمعرفة هذا اللغز العظيم . . هذا الذى يحرك الجسم ويحرك الحضارة الإنسانية دون أن يعرف أين هو ولا كيف هو . . إن العقل قوة هائلة جبارة . ولكننا لا نعرف ذلك . .

إن الذى سجله الأدباء والشعراء والأطباء بعد أن تناولوا عقاقير الهلوسة وتوسيع المخ أقرب ما يكون مما جاء فى « كتاب الموتى الفرعونى » أو فى

«الإلياذة» الإغـريقية . . أن هنـاك مشاعـر غريبـة . . وحركـات لايتصورهـا العقل . . وأجساماً تطير وتروح وتجيء كأنها بلا أجسام فى عوالم بلا جاذبية .

وعشرات الألوف من الأغـانى فى الشرق والغرب ذات المعانـى الجميلة . . مثل الأغنية التى تقول : أخمدت الضوء والضوضاء فى رأسى ، فلا وقت للألم . ولا ضرورة له ، بعد أن عرفتك . .

وبعد أن عـرف الملايين هذه العقـاقير التى تفتـح فى داخل العقـل قارات وكـواكب هـائلـة شاسعـة . . ولكنهـا جميعاً بـلا خـرائط . . فهذه العقـاقير الكيميائية الطبية لم تفعـل أكثر من أننا وضعنا أيدينـا على مفتاح لباب من بين مليون باب لعالم عقلى لا نعرف عنه إلا القليل جداً . .

إن على كتفيك دنيا أكبر من الدنيا ، وأروع ولكنك لاتعرف !

* * *

فإلى خطوة قـادمة أكبر وأعمق فى داخلك ، بعد أن انشغـل الإنسان بكل شيء حـوله وأمامـه وضده . . إلا عقله . أما دليلنـا إلى ذلك فكتاب هـو من أروع ما صدر فى هذا القرن واسمه « قوى العقل » للكاتب الكبير آدم سميث .

"زن" طريقة للتأمل العقلي من أجل صحتك

كما هى عادة حكماء اليوجا وفلسفة « الزن » أرجو أن تقرأ هذه العبارات الآن . . وأن تفكر فيها بعد ذلك . . أما المعنى فسوف تجده فى الحكايات . . والنوادر . . التى سوف أرويها فى هذا المقال وغيره . . .

مادمت لا تعيش حتى المائة ، فلماذا تحترق ألف مرة ؟

الحيتان تغرق فى المياه الضحلة !

مدرس متوسط أحسن من مكتبة عظيمة !

قيل للأستاذ : كم تساوى أربع نساء يتحدثن معاً فى وقت واحد ؟ قال : يساوين نصف رجل صامت . قيل له : ولماذا؟ قال : لأن الصمت نصف الحكمة ، والكلام معاً ليس من الحكمة والإجابة عن هذا السؤال نوع من الحكمة . . وهذا الحوار فى الطريق إلى الحكمة .

وإذا كان جسمك هو حصانك ، فإن عقلك هو السرج واللجام والكرباج والطريق . .

. . إن هذا ثوبك لا تنس ذلك . . فلا تلوثه ولا تمزقه ولا تسكن فيه مع

أحد غيرك . . ثم لا تعطيه لأحد . . ألا ترى أنني عريان وأنني أسعد حالا وأهدأ بالا وأصح جسداً وأصفى نفساً . كيف كان لى ذلك . . هذا هو السؤال وذلك هو الجواب . .

ومئات الألوف من العبارات ذات الرموز وذات الدلالة نجدها عند أهل الصين القدامى . . وعند حكماء اليوجا المعاصرين . . ولكن الذى أريد أن أتجه إليه مباشرة هو طريق « الزن » والزن كلمة يابانية معناها : التأمل .

وقبل أن نتأمل معاً نتساءل مع جماعة « الزن » ما هو هذا التأمل ؟

هناك درجات متفاوتة من الوعى : أن تكون فى حالة يقظة تامة ، كما أنت الآن . .

وأن تنام . .

وأن تحلم أثناء النوم . .

ومن هذه الحالات الثلاث هناك درجات لا نهاية لها بين الوعى واليقظة والاقتراب من النوم والاستغراق فيه ، وبين الأحلام والرؤى وبين الهلوسات أثناء النوم أو أثناء اليقظة . . تماماً كالفوارق الهائلة فى الدرجات اللونية . .

ولكن درجة الوعى التى تهمنا هى : التأمل . .

كيف نتأمل شيئاً ما ؟

أن تجلس ساكناً هادئاً وأن تفتح عينيك على شىء فلا ترى سواه . . وليكن هذا الشىء زهرة . . أن تفتح عينيك حتى لا ترى غيرها . . ثم يذهب بك التأمل حتى لاترى الزهرة . . وتكون فى حالة من الهدوء والصمت فلا أنت يقظان ولا أنت نائم ولا أنت حالم . . وإنما أنت غارق فى شىء . .

أو غارق فى حالـة ولكنك فى نفس الوقـت لست غارقاً . . إن نظـرتك أشمل وأعمق من هذه الزهرة . .

* * *

والـذى يهمنى ويهمـك أيضـاً مـا الــذى يحدثـه هـذا التـأمـل العقلى فى جسمك . . إنـك هادئ . . إن أنفاسـك منتظمة ، وهذا الانتظـام يؤدى إلى تخفيف التـوتر النفسى لـك . . ومن تلقـاء نفسك تجدك قد فـردت ذراعيك ومددت ساقيك . . وأصبحت أخف وزناً . .

ولكنك لست كسولا ، ولا عقلك قد توقف أو نام . . وإنما تجد أن عقلك أقدر على الفهم وأقدر على تمييز « القطط السود من القطط البيض » ـ كما يقول رهبـان الزن . فقـد حدث أن ذهـب تلميذ إلى أستـاذه الحكيم يقـول له : يـا أستاذنـا . . ما الذى أفعلـه بعد ذلك ؟ فقال لـه الأستاذ : وما الـذى فعلته حتى الآن فقال التلميـذ كل ما أمرتنى بـه . فقال له : وما الذى أمـرتك به ؟ قال التلميذ : أن أنام فى غرفة مظلمة . وأن أكف عن الطعام والشراب . . وأن أعد أنفاسى شهيقاً وزفيراً . . وأن أجىء إليك إذا مـا شعرت بالراحة التامة . وأهم مـن ذلك أن أقود قطيعـاً من القطـط البيض والقطط السـود حتى يجىء النوم . . وجـاء النوم وذهب وجاء . . ثـم جئت إليك ألتمس الحكمـة منك ياأستاذى العظيم .

ولكن الأستاذ العظيم الحكيم قال له : إنك لم تحقق شيئاً مما قلت لك . . كان يجب أن تعـود إلى عندما تنسـى كل الذى قلتـه لك . . ولكنك مـادمت تذكـر كل شىء فـأنت لم تستغرق فى الكون كلـه بعد . . وما دمـت تفرق بين القطط البيض والقطط السود فأنـت لم تستغرق فى الكون بعد . . وما دمت لا

تـزال قلقـاً على أن تجيء إلى ، فـأنـت لم تسترح بعـد . . ومـادام النـوم يـروح ويجيء ، فأنت لم تستغرق فى النوم فى الكون بعـد . . اذهب وانس ماقلته لك هذه المرة ، ولن تجيء !

وهذه الحكاية تحتاج إلى شرح . فمن عـادة جماعة « الزن » أن يسأل التلميذ أستاذه : ما الذى يفعله من أجل أن يريح جسمه عن طريق العقل . . فيقول له الأستاذ مثـلا : تخيل أنك تجر وراءك الشاطئين تخيل أنك تفعـل ذلك حتى يستغرقك هذا الخيال . .

ويقول له : تخيل أنك تسحب هذه السفينة بمن عليها حتى الشاطئ تخيل ذلك . .

إن الأستـاذ يريـد من تلميـذه أن يتخيل وأن يتـأمل وأن يفعـل ذلك وهـو جالـس هادئ . يقول د . دالاس أحد علماء النفـس الأمريكان أن تجاريـه من هذا النوع قد أدت إلى خفض ضغط الـدم عند عدد كبير من المرضى . بل إنها أنقصت حبـات العرق . . بـل إنها أخذت بـالصداع مـن الرأس . وقـد قام بمئات التجارب فى المستشفيات على المرضى . وأن الأدويـة المسكنة قد فشلت تماماً حيث نجحت تأملات « الزن » . .

* * *

تقول د . مرجريت ين من أكبر علماء الحيـوانات فى أمريكا : عندما زرت بعض جزر المحيط الهادى اتجهت إلى حكيم القبيلة . قابلته . كان جالساً كأنه صخرة . كأنه شجرة . لايتحرك فيه شىء . حتى رموش عينيه ، حتى أصابع يديـه ، كلها ممـدودة لا تهتز برغـم أن الضوء قـد سقط على وجهـه ، وذراعاه

ممدودتان أمامه . قالت إنها سألت ما الذى يفعله الرجل ، لم يشأ أحد أن يرد عليها . فعادت واتجهت إلى واحد من أطفال القبيلة . ولكن الطفل اقترب منها ليقول : إنه يستعد لعملية جراحية صعبة . وهو يفعل ذلك فى الظروف العسيرة . .

وبعد ساعة من هذا الهدوء المميت نهض طبيب القبيلة . وأشرقت وجوه الرجال والنساء . ودخل الطبيب كوخا وسمعنا صرخة صغيرة . وخرج الطبيب بعد دقائق . لقد بتر ساقاً لأحد المرضى .

وفهمت د . مرجريت ين أن لحظات الصمت هذه تمنح الطبيب قدرة جسمية عظيمة . وقدرة عقلية أعظم .

ولذلك فبعض الأطباء يرون أنه من الضرورى لكل إنسان فى العصر الحديث أن يتوقف عن العمل أو النشاط تماماً مرتين فى اليوم . كل مرة عشرون دقيقة . وبدلا من أن يذهب الناس إلى المطاعم أو حتى دور السينما . . ليستريحوا بعض الوقت . فإنه من الأفضل أن يجلس كل إنسان هادئاً . يتأمل لا شىء . . يتأمل أنه على ظهر مركب وأن هناك أناساً يسحبونه هو إلى الشاطئ ، أو هو الذى يسحب المركب إلى الشاطئ . . عشرون دقيقة قبل الغداء . . وعشرون دقيقة أخرى قبل العشاء . .

وإذا كان الناس فى أوربا وأمريكا ينسحبون من العمل بعض الوقت فيجلسون لشرب القهوة أو الشاى فليس هذا هو الأسلوب الصحى . . فالذى يفعلونه ليس إلا نوعاً من تغيير الحركة . فبدلا من أن يتحرك الإنسان فى مكتبه أو فى مصنعه ، فإنه يجلس فى مقهى أو مطعم ويحرك رأسه ويتكلم شيئاً

مختلفاً ويسمع كلاماً آخر . . ولكن ليست هذه هى الراحة المطلوبة . وإنما الذى يدفعنا عادة إلى المقاهى والمطاعم والملاعب هو سبب آخر : هو أننا اعتدنا على الضوضاء . ولم نعد قادرين على الحياة بغيرها . .

إن أكثر الناس لا يستطيع أن يجلس وحده فى هدوء . . إنه يريد أن يكون مع الآخرين حتى ولو لم يشاركهم الكلام . يكفيه أنه يسمعهم . أو تكفيه ضوضاؤهم . لماذا ؟ لأنه اعتاد على الدوشة . . فهو ينام والراديو مفتوح . فإذا نزل من البيت استقبلته ضوضاء الشارع . فإذا ركب السيارة فتح الراديو. . راديو السيارة أو الراديو الصغير الذى يحمله أو تمنى أن يفعل أحد ذلك بالنيابة عنه . . ومن الغريب أن ينتظر الفيلم فى هدوء . . مع أنه لا يوجد هدوء بين الناس فى السينما . . ولكنه اعتاد على الضوضاء . . واعتاد على أن تثيره الضوضاء . وتجعله عصبياً كأنه لم يخرج من البيت أو من المكتب . . إنه اعتاد على أن يكون عصبياً قلقاً ، وأن تكون حالته النفسية هكذا ، وحالته الجسمية أيضاً . .

قالوا للحكيم كونفوشيوس : لماذا نرى هذه الأغنام قلقة . . ولا نرى تلك الأغنام مثلها . قال : هذه الأغنام ليست وحدها إن ذئباً يتوارى بينها . قالوا له : لا يوجد ذئب أيها الحكيم وإلا أكلها جميعاً . قال : هناك ذئاب تأكل الأغنام وذئاب تتركها لذئاب أخرى . . سألوه : كيف ؟ قال : إن الراعى إذا كان كسولا أو كثير النوم جاءت الذئاب إلى الأغنام . . فهو ذئب لا يأكل الأغنام ولكنه يمهد الطريق للذئاب الأخرى . . فافهموا !

وهو يطلب إليهم ــ عادة ـ أن يفكروا فيما يقول . . وإذا فكرنا نحن أيضاً فيما يقول نجد أننا نحن الذئاب . . وأجسادنا هى الأغنام . ونحن الذين

نحميها من ذئاب القلق والخوف والمرض . . أو نغفل عنها فتجيء المخاوف من خارجنا تفترسنا . .

ولما عادوا إلى الحكيم كونفوشيوس يقولون له : ياحكيم الزمان ولكن إذا كان الإنسان يرعى قطيعاً من الذئاب فما الذى يفعله معها . . قال الحكيم : ولكن الإنسان لا يرعى الذئاب . . ولا الذئاب ترعى الإنسان . . قيل له : وكيف يا أستاذنا ؟ أجاب : إذا كان الإنسان راعياً وكانت الذئاب أغناماً ، فإنها تلتف حوله تأكله . . فلا يكون هناك راع ولا تكون هناك رعية . . وإذا كانت الذئاب هى التى ترعى الإنسان ، فإنه لا يكون إنساناً ولا تكون هى ذئاباً . . إذا رعاها كان الها . . وإذا رعته كانت أغناماً . . فقالوا له : إننا نفترض ذلك يا أستاذنا . . نفترض أن الإنسان استطاع أن يروضها ، وأنها استطاعت أن تجعله وحشاً مثلها . . فلا خوف على الراعى من الرعية ، ولا على الرعية من الراعى . . نقول لك : إذا . . وأجاب الحكيم كونفوشيوس : تقولون : إذا . . وأقول لكم : خير عظيم إذا . . فافهموا ! .

وهو ولاشك شيء عظيم أن يصبح العقل الإنسانى قادراً على ترويض الرغبات الحسية والنزوات النفسية . . خير عظيم تعمل كل المذاهب الأخلاقية والدينية من أجله . . فإذا كان الجسم ذئباً والعقل راعياً واستطاع العقل أن يروض الذئب ، فهذه أقصى درجات الإرادة . . ولكن عندما يتغلب الجسم على العقل ، أصبح العقل أحط من الجسم . . أو أصبح الإنسان منحطاً . .

ولكن ما هذا الذى فى عقلك يجعلك قادراً على أن تفعل هذا أو لا تفعله ؟

إن الأطباء والعلماء ورجال الكيمياء قد شرحوا المخ ومزقوه . . ووضعوه فى

الأنابيب ورفعوا درجات حرارتـه . ولكنهم لم يهتدوا إلى أين تكمن الإرادة . . أين تكمن هذه المشاعر المعقدة . .

لقد رسموا المخ وقاسوا درجة حرارته ودرجة كهربيته ومغناطيسيته . وقالوا : الفكر كهـرباء . . وقـالوا : الفكـر تفاعـلات كيميائيـة تنتقل مـن مكان إلى مكان . . وقالوا : إن حركة الفكر عبارة عن قفزات مثل قفزات العصافير . . وأنه لا تـوجد حـركة متصلـة . . وقالـوا : إن العقل بطبعـه قادر على تنظيـم الأشياء . . وقادر على خلق العلاقات . .

ولكن أيـن نجد هـذه القدرة على التنظيـم . فى أى مكان فى المخ لا أحـد يعرف .

ولكن ليس من الضرورى لنا أن نعرف أين هذا وأين ذاك . المهم لنا هو أن نعرف كيـف نقدر بالعقل على السيطـرة على الجسم . وبذلك نحقـق لأنفسنا قسطـاً من الـراحـة . . وأن نمسح الـزجاج أمـام العقـل فيرى أوضح وأبعـد وأعمق . .

* * *

نعود مرة أخرى إلى ماتفعله جماعة « الزن » أو الصوفية فى كل الأديان .

انظر إلى واحـد منهـم . تجده جالسـاً لا يتحرك . ومطلوب منـك أن تفعل ذلك مرتين فى اليوم ـ هذه أحدث النظريات العلمية المعاصرة .

هناك التأمل الصامت . .

وهناك صلاة القلب . .

فالتأمـل الصامت هو أن تجلـس . وأن تركز عينيك على أى شـىء ، حتى

تصبح لا تراه . ولا يهم ما هذا الشىء . بعض الوقت .

أما صلاة القلب فهى : اختر أية كلمة قصيرة . ولتكن : الله . أو : واحد . . وردد هذه الكلمة بلا صوت مائة مرة . . ألف مرة . . وافعل ذلك عشر دقائق . . لاحظ أن تنفسك قد هدأ . . لاحظ أنك قد انصرفت تماماً عن الذى حولك . . لا حظ أن هذا الانصراف هو الذى عزلك عن كل شىء . وأن هذه العزلة هى خروج من الدائرة اليومية لحياتك . وأن هذا الخروج هو الذى أراحك . وأنك إذا اعتدت على ذلك استرحت . وأنك إذا لم تفعل هذا لنفسك وبنفسك فلن يريحك أحد . .

ومن الضرورى أن أذكر لك قصة أمريكية مشهورة لكاتب معروف اسمه سالنجر . القصة اسمها « فرانى . . وزوى » . وفرانى هذه هى البطلة . تقول فرانى عن سبب عذابها وعذاب كل الناس : إنه لشىء فظيع أن يكون الإنسان أوربيًّا أو أمريكياً . . شىء رهيب ولكننا لا ننتبه إلى ذلك إلا فى مرحلة متأخرة جدًّا . . تصور أنك يجب أن تجرى . . وأن تنطلق دون حزن . بل وأن تتباهى بذلك . . شىء فظيع أن يكون الإنسان فى حالة سباق مستمر من أجل أن يفعل شيئاً ما ، لعله يكون شخصاً ما ، له مركز ما ، متفوقاً على إنسان ما ، هذه هى فلسفة ما لكل الناس . . وهذه هى حكمة الميلاد والصراع والحياة والموت بعد ذلك . .

وفى القصة أن فرانى هذه عندما قالت ذلك . . سقطت على الأرض مغمى عليها . وقالوا فى تفسير ذلك : إنها سقطت لأنها كانت حاملا . ولكن الحقيقة أنه ليس من الضرورى أن تكون الفتاة حاملا لكى تقع على الأرض ، بل هى وقعت لأن الاستمرار مستحيل . . ولأن هذه الحياة هى إرهاب . .

رهاب الإنسان لغيره ، أو إرهاب الانسان لنفسه . . وأن البطلة كان يجب أن سقط بل تسقط الحياة كلها . . لأنها حياة بلا حياة . . حياة بلا لحظة واحدة ن التـأمل بل لحظـة واحدة يأخـذ فيها الإنسان أنفـاسه . . أو بعدهـا حتى نسى أنه يتنفس . كما يقول ويفعل فلاسفة الزن فى العالم كله الآن . .

* * *

يقال إن تلميـذين من تلامـذة الزن كل واحد منهـا يتباهى بأستـاذه . قال إحـدٌ : إن أستـاذى يستطيـع أن يمـد يده عبر الشـاطئ فيكتـب على ورقـة مسكها بيـدى على الشاطئ الآخر ، فقـال التلميذ الآخر : إن أستاذى يـأكل عندما يجوع ، ويشرب عندما يعطش ويتكلم عندما يسأله أحد . .

وهـذا شىء عجيـب فى هـذه الدنيـا . فنحن عـادة نـأكل دون أن نكـون جوعى ، ونشرب دون أن يكون هناك عطش ، ونتكلم أو نترك غيرنا يتكلم دون أن نكون فى حـاجة إلى أن نسمـع . . ولذلك غـريب أن يـأكل الإنسـان لأنه جـاع ، ويشرب لأنه عطـش ، ويتكلم لأن هنـاك ضرورة . . شـىء غريـب وعجيب يجرى فوق كتفيـك ، ولكننا مازلنا فى حاجة إلى أن نعـرف ـ كما سوف نرى .

أناس استطاعوا
أن يمشوا على الماء

ملايين الناس اليوم ، ليس عندهم استعداد لأن يموتوا فى سبيل الحب . . وإن كانت ملايين أخرى قد ماتت لأنها لم تجد الحب . . فما الذى يجده الناس فى الحب ؟ إنهم يجدون « دورا »فى لعبة مقدسة . . إذا أعطيتها أصبعك ، وإذاتركت لها ذراعك استولت عليك واستدرجتك إلى حالة لا هى نوم ولا هى يقظة ، لا هى سعادةولا هى تعاسة ، لا هى حياة ولا هى موت ولكنها حالة يهون معها كل أنواع العذاب . . هذا هو الحب . . أو نوع من الحب . . فهل هو شىء ضرورى لأحد ؟ . .

نعود إلى ما كنا فيه من قبل لكى نذهب أبعد فى فهم هذه القوة العجيبة التى استقرت فى رأسك فى كتفيك وأنت لا تعرفها . ولكن من الضرورى أن تعرفها ، سواء كنت صغيراً أم كبيراً . إن هذه المعرفة هى شرط لسعادتك ، أو شرط لنجاحك إذا كانت السعادة لا تهمك . . فما الذى تراه عندما تشاهد مباراة فى كرة القدم ؟ قبل أن تفكر فى الإجابة عن هذا السؤال أعاجلك أنا بالإجابة : أنت تتفرج على أناس لهم دور . كل واحد له دور فى هذه اللعبة . وهذا الدور مدروس . وهناك أمل قد ألقى عليك . وهناك رغبة فى أعماقك فى

أن تفعل كل ما تستطيع احتراماً لنفسك وحرصاً على تقدير الآخرين لك . هذا هو المعنى الهام جداً . لماذا ؟ لأن هناك أناساً فى هـذه الدنيا لهم نشاط يروحون ويجيئـون . ويتزاحمون ويتسـاقطـون . ولكـن ليس لهم دور واضـح . لا هـم يعرفون ، ولا غيرهم يعرف ذلك . والنتجة أن حـركتهم مضطربة . وأهدافهم غامضة ، ونجاحهم غير مؤكد . وتعاستهـم مؤكدة . .

هؤلاء الناس ليسوا فى حـالة يقظة . وإنما هم كالذيـن يمشون أثناء النوم . إنهم نائمون ولكنهـم يمشون . وهـم يمشون ولكنهم نائمـون . إن هذه ليست حالة مـن اليقظة الواضحة . وفى استطـاعتك فى هذه اللحظة أن تتـوقف عن القراءة وتسأل نفسك : هل لهم دور واضـح ؟ هل أنت نائم أو يقظان ؟ وإذا عرفت الإجـابة فأنت قد واجهـت نفسك بالحقيقة . مع أنـه من النادر أن يجد الإنسان وقتـاً أو شجاعة لكـى يواجـه نفسه بما لا يحب . وهؤلاء الـلاعبون فى الملعب أمامك أناس يلعبـون جادين ، ويجدون لا عبين ، ولهم أدوار واضحة وأهداف تتعلـق بها آمال كل النـاس . فالـذى يعجبك فى هذه اللعبـة : هذا الوضـوح على أرض الملعب . كـل شىء مكشـوف . . اللاعبـون وحركـاتهم وحيلهم . ومعـروف مقدماً مـا هو المطلـوب منهم . . أن لهم أدواراً محددة فى هذه الحياة .

* * *

ويستطيع أن تجد سبباً مـؤكداً لكل متاعب الناس النفسيـة والعقلية : هذا السبب هـو أن الناس ليسـت لهم أدوار واضحة فى حيـاتهم . وهم بـلا أدوار واضحة لأنهم لا يفكرون بـوضوح . وهـم لا يفكرون بوضـوح لأنهم مرهقون . وهـم مرهقـون لأنهم لم يعرفوا كيف يستغلـون الطاقة الهائلة للعقـل الإنسانى .

وهـذا العقـل وحـده هـو القادر على إرهـاق الجسـد وراحتـه . وهـذا العقـل لايستطيع أن يعمل وحـده . وإنما يجب أن ندربه على ذلك . وأنـت لا تدربه إلا بـالإرادة . . إرادة السيطـرة على العقـل لكى تسيطـر على الجسـم فتعلمـه الراحة عندما تريد . وتدفعه إلى العمل عندما تشاء . .

وهذا « الترويض » لجسمك عن طريق عقلك هو الذى يشغلنى طول هذه المقالات وعرضها . فأنا وأنت قد استغرقتنا الحياة ، فليس عندنا وقت ولا رغبة فى أن يفتح الـواحد منـا دماغه ليعـرف ما الذى خبـأه الله فى هـذا الكنز على أكتافنا . .

هناك مئـات العلماء يدرسون ويبحثون ويجربـون ولكنهم استوحـوا علمهم من الهند والصين . واهتدوا إلى أنه مطلوب من الإنسان أن « يهز » جسـمه . . أن يزلزل شحمه ولحمـه . . حتى يصبح الجسم الإنسـانى طيعـاً لك . فعندنا فى موالد الأوليـاء فى مصر وفى كثير من البلاد العربية يلتـف الناس فى حلقات الـذكـر . ويتمايلون على إيقـاع الطبـول ويـرددون كلمة أو كلمتين سـاعـات طويلة . هذه الصورة لها معنى جديد الآن . إن فى كاليفورنيا فى أمريكا حلقات ذكر وعـدداً من المنشـدين أساتـذة الجامعات قد أمسكـوا أجهزة علقـوها على رءوس هؤلاء الـذاكرين ليقيسوا الضغـط ودرجات الحرارة والتوتـرات العضلية والعصبية . إنهم ليسوا مسلمين ولا مسيحيين ولا يهوداً . . إنهم علماء لا دين لهم إلا توفير الحيـاة الأهدأ لأى إنسان ، أيّاً كـان دينه . فإذا هـدأ الجسم وانهد أيضاً . شعر الإنسان بنوع من الصفاء العقلى .

ولكن احتياج الإنسان إلى مزيد من الصفاء والجلاء العقلى هو الذى جعله يلجأ إلى العقاقير التى تنشط العقل وتوسع حدوده . .

أو بعبارة أخرى إن هذه العقاقير هى التى تضع الإنسان فوق « البساط السحرى » فيطير إلى سماوات فى الماضى والحاضر والمستقبل . وهذا ما فعله الحشاشون فى سوريا وإيران من مئات السنين . . وما فعله كثير من الصوفية عندما عرفوا « القات » فى اليمن وعندما عرفوا « القهوة » فى الحبشة والسودان . . وعندما عرفوا « الأفيون » فى الصين . .

* * *

ولكن الإنسان يستطيع بالإرادة والترويض المستمر أن يحقق المعجزات مثلا : ذلك الرجل القروى البسيط الأرمنى الأصل واسمه جورجيف . لقد سارت وراءه الناس بالملايين فى تركيا وأرمنيا وفرنسا وأمريكا ، إنه عامل فى السكك الحديدية . وتاجر أحياناً . ولا يعرف القراءة والكتابة وإن كان أملى عشرات الكتب على التلاميذ . مات فى بيته فى باريس عدد من الأدباء والعلماء . ماتت فى بيته الكاتبة كاثلين ما نسفيلد . . هذا الرجل له دور . وهذا الدور له هدف . وهذا الهدف : ألا يكون الإنسان عبداً لعادة من العادات .

لأن الإنسان يعيش بحكم العادة . أى له مجموعة من العادات . يلجأ إليها ويستريح معها فى النهاية . فالإنسان هو ابن العادة . وكما أن الإنسان حلقة من سلسلة فى أناس سبقوه . فعاداته حلقة فى سلسلة من أفعال قام بها واستراح إليها . ويقول جورجيف أيضاً : إن الذى يدخن السجائر عبد لها ، والذى لا يدخن السجائر عبد لعدم التدخين . . فالإنسان يجب ألا يكون عبداً لكلمة : نعم . . ولا عبداً لكلمة : لا ! وإنما يجب أن يدخن من حين إلى آخر . . فلا خوف عليه . . ويجب ألا يكون هناك خوف .

أو بعبارة أخرى : يجب ألا يكون صعودك اضطرارياً ، وألا يكون هبوطك اضطرارياً . . وإنما انطلق على راحتك . . ودون عنف ودون إضرار بالآخرين . . أو إضرار بنفسك أولا وأخيراً .

وكان من عادة جورجيف أن يروى لتلامذته هذه القصة : اعتاد رجل أن يدخن كثيراً . وأن يمتنع عن التدخين فجأة . وكان الناس يقولون : هذا الرجل ليس له مزاج . فما حاجته إلى التدخين ؟

يقول جورجيف : هذا بالضبط ما يجب أن يكون عليه الإنسان بشرط ألا يسرف على نفسه فى التدخين أو فى الامتناع عن ذلك . . فى الأكل والشرب والعمل والتأمل . . المهم أن تكون عادلا . . أو معتدلا . . أو متوازناً . . فالحكمة العظمى هى الاعتدال . وهى أصعب المعانى والحالات التى شعر بها الإنسان . وعاش ومات دون أن يحققها . .

وهذا الرجل جورجيف يستمد علمه وحكمته من كثير من الصوفيين مثل جلال الدين الرومى . وعلى لسانه تجىء أسماء لبعض الطرق الصوفية الإيرانية . ولكن المهم هو أسلوب هؤلاء الناس فى ترويض النفس الحبيسة فى قفص الصدر ووراء جدران من الشحم واللحم وأنهار من الدماء وعواصف من الرغبات وأشباح من المخاوف . هذا هو الهدف . وهذا الدور المطلوب أيضاً . وبعد ذلك فى استطاعة أى إنسان أن يحقق فى دنياه ولدنياه ما يشاء . وكل الذين نجحوا فى هذه الحياة ، هم أقدر الناس على استخلاص قدراتهم من وحل البدن .

فهل هذا دين جديد ؟ من المؤكد أنه ليس كذلك . وإنما هو دعوة إلى أن تلتفت إلى نفسك قليلا . فليس من السهل أن يمشى الإنسان مغمض

العينين. ولا من المعقول أن تنطوى على عقلك . ولكن الاعتدال هو المعقول . والاعتدال أن تكون لك لحظات مواجهة . تواجه فيها هذا الذى تهرب منه ـ أرجو أن تعيد قراءة هذه العبارة وأن تكررها لنفسك كثيراً . . فهذا هو المفتاح الصغير الذى يحرص عليه الصوفيون وعلماء الإلكترونيات الذين سجلوا نشاط الإنسان جسميًّا وعقليًّا فى لحظات الصفاء النفسى والجلاء العقلى . .

وقد فهم الناس . ولكنهم عندما يطبقونه لا ينجحون تماماً . . ففى أمريكا تجد الملاعب قد ألحقت بالمصانع وبالبنوك . ففى البنوك تجد ملاعب كرة التنس ومناضد البنج بنج . والغرض هو أن ينصرف الموظفون إلى الترويح عن النفس بتحريك الجسم وإغراق العقل فى متابعة الكرة . . أى تشتيت العقل بعيداً عن الأرقام والتحويلات والشيكات . أى شغل العقل بشىء آخر. . أى تحويل مسار العقل إلى ملاحقة أهداف أخرى لذيذة وتافهه أيضاً. وهذا أسلوب سليم . ولكنه ليس إلا لحظة واحدة . وليس إلا درجة من درجات الابتعاد عن الهموم . . أو درجة من درجات الصعود الاضطرارى للعقل . ولكن المطلوب . أكثر من ذلك وأعمق . .

إن ألف ليلة تحدثت عن علاء الدين والمصباح . فعلاء الدين لايكاد يضغط على المصباح بأصابعه حتى يكون لعلاء الدين ما يشاء . . يرى ما يشاء ويجد ما يشاء . إن المصباح فوق أكتافنا ، ولابد أن نراه وأن نضغط عليه لكى نجد ما نريد .

ولكن المشكلة دائماً أننا نبحث عن الشىء الذى نريده فى مكان آخر . أننا نترك المكان الحقيقى ونفتش فى المكان غير المناسب . ان الراحة ليست فى كرة القدم أو كرة الطاولة . وليست فى مكان العمل . وإنما يجب أن نفعل شيئاً آخر

وقبل أن أحدثك عن هذا الشىء الآخر والمكان الآخر والمكان الآخر أروى لك قصة الشيخ نصر الدين . .

يقال إن الشيخ نصر الدين قد أضاع مفتاح بيته . . وراح يبحث عنه بالقرب من أحد فوانيس الشارع الذى يسكن فيه . فجاءه أحد رجال الشرطة يسأله : عن أى شىء تبحث ؟ قال : المفتاح .

ـ وأين سقط منك ؟

فى أول الشارع

ـ ولكن لماذا تبحث عنه هنا ؟

ـ لأن أول الشارع مظلم . . وهنا نور !

وليس الشيخ نصر الدين وحيداً فى ذلك . فنحن جميعاً نبحث عن المفتاح . . ولكن ليس فى المكان المناسب . . والمكان المناسب فى البيت . . أو فى بيت بعيد عن البعيد . عليك أن تجلس هادئاً وأن تأتى بأية حركات رياضية أو منظمة على إيقاع موسيقى . . أو أن تشارك فى حلقات الذكر . . إنهم فى أمريكا وفرنسا وبريطانيا يفعلون ذلك من أجل الصحة العقلية وهى مناسبات لكى تسيطر على جسمك بعقلك .

* * *

والممارسة أهم جدًّا من قراءة أى شىء عن ذلك . . والصوفية أصحاب «تجربة » أو أصحاب . « محنة » أو « معاناة » أو « مجاهدة » . . ثم هذه القصة . يقال إن أحد الصوفية كان يتمشى متأملا على شاطئ بحيرة . ويقال

إنـه سمع صـوتـاً يجيء من بعيـد يتغنى بشعـر صـوفى . وضاق الصـوفى بهذا الصوت القبيح والذى يخطئ أيضاً فى نطـق الكلمات . فركب زورقاً وذهب إلى الرجل الذى يغنى . وقال : يامولانا أنت لا تحسن النطق .

فقال له الرجل : علمنى ياسيدى .

وعلمه كيف ينطق وكيف يتغنى .

وتركه إلى زورقه وعاد إلى الشاطئ . وأثناء العودة فوجئ بالرجل يناديه قائلا : نسيت . . لقد نسيت . . علمنى من جديد . .

ولكن الصوفى لاحظ أن الرجل يمشـى على سطح الماء . وأصابه ذهول ثم ركع أمامه وهو يقول : بل علمنى أنت ياسيدى ومولاى وتاج رأسى وقرة عينى فى الحياة ؟

إنه إذن ليس العلـم ، ولكنها التجربة . . فـالرجل الذى يعلـم لا يمشى على الماء . ويمشى على الماء مـن كانت عنـده تجربة نفسيـة ومعاناة وجـدانية فصارت له قدرات خارقة ـ والقصة ترمز إلى هذا المعنى !

* * *

يقول جـورجيف فى عبـارة أبسط ، كل جسـم له ذبذبـة . أو له عـدد من الهزات أحصاهـا العلماء المؤمنون الـذين يعيشـون معه وحـوله . فـإذا استطاع الإنسـان أن ينقص عـدد الـذبـذباب هـذه إلى أدنـى حـد استراح . والراحـة مطلوبة . والـراحة مفقودة . وهى نـادرة . وليس فى هذه الدنيـا إلا عدد قليل يعرفونها بعض الوقت . فالإنسان الذى لا يعرف الرياضات النفسية هو الذى لا يعرف ضبـط النفس وتـرويضها ـــ عدد ذبـذباتـه ٩٦ وهى صـدى لطمعه

ومخاوفه ورغبته فى منافسة الآخرين والانتقام منهم . . والإنسان فى حالة صفائه العادى ذبذباته ٤٥ أى عندما يعيش دون حاجة إلى الكلمات . . وإنما يعيش فى تأمل هادئ . . ولكن إذا استطاع الإنسان أن يحقق « حالة البركة » أو « تمام الرضا» أى « جوهر الصفاء » ـ فذبذبته ١٢ . . وإذا بلغ شاطئ النور والمعرفة ، ولم يعد فى حاجة إلى أن يقال له أو يقول فذبذبته ٦ . . ولابد أن الأنبياء وعباد اللّه الصالحين ذبذباتهم ٣ . . ولو سجلنا ذبذبات المجتمع فى أية لحظة . . أو أى عدد من الناس معاً لوجدناها ٦٠٠ . .

ولن يتيسر للإنسان السيطرة على جسمه واستخراج طاقات عقله العظمى إلا بالرياضة ستة أيام فى الأسبوع . . ثم تليين الجسم وتطويعه ساعات كل يوم . . وإلا بالامتناع عن النشويات والحلويات والخمور والتدخين . وفى استطاعة كل إنسان أن يفعل ذلك من نفسه ودون أستاذ ، إلا إذا كانت آماله فى الصفاء النفسى والجلاء العقلى هائلة . . وإلا إذا كان يريد أن يكون صوفيًّا أو زاهداً فى هذه الدنيا ـ وإن من الضرورى أن يزهد الإنسان بعض الوقت فى بعض دنياه !

وإذا كان عقلك روض جسمك ، فلا تنس أن جسمك هو الذى يروض عقلك أيضاً ـ فأنت السيد والخادم ، وأنت العصا وأنت المضروب . . وأنت المنتصر والمنهزم معاً . . فأنت فى صراع من أجل أن يتحقق الانسجام بين الذى تلمسه بيديك وبين الذى ينقل إليك اللمس ومعنى اللمس ومعنى هذه الحياة . . فى حدودها الضيقة : أى جسمك . . أو حدودها الواسعة : أى مجتمعك . . وحدودها المطلقة : أى فكرك !

لاتظن أن هذه خاصة بأناس فى الشيخوخة . أو أناس على المعاش . .

إنما هى تعنيك فى أية سن أنت . فالإنسـان الذى يرى أناساً يجرون فى الشارع م يترك ما فى يده ويلحق بهم دون سبب واضح . ليس واعياً . .

إن العدوى قد انتقلـت إليه . . إن هذا الإنسان هو عبـد لما يراه . . عبد ـذه العبارة : الناس يجرون فى الشارع . ولا بد أن تجرى معهم ووراءهم . .

وليس من العقـل أيضاً أن ترى الناس يجرون ولا تلتفت إلى ذلـك كأن شيئاً يحدث . . وإنما العقل هو أن ترى وأن تتأمل وأن تتوقف طويلا أو قصيراً . . لمهم أن تتوقف . وأن تفعل شيئاً .

إن أكثر الناس يفعلون بالضبط مـا يفعله بطلا مسرحية « فى انتظار جودو » لتى ألفها صمويـل بيكت . ففى نهاية كل فصل تجد أحـدهما يقول للآخر : ميـا بنـا ننهـض . . ويـرد عليـه الثانـى : نعـم . هيـا بنـا ننهـض . . ثـم لايتحركان !

إن هناك أشياء كثيرة تستـأهل أن تنهض من أجلهـا ووراءها . . إن هناك قدرات عقلية تجعل الإنسان يرى الإنسـان أبعد وأعمق . . يرى الغد وأبعد ـ كما سوف نرى !

فــليس عندك وقت ولاصبر ولا رغبة

عند مدينة طيبة وقف وحش يعترض الناس . الوحش له رأس وصدر امرأة وجسم كلب ، وذيل أفعى ، ومخالب أسد وصوت إنسان الوحش اسمه أبو الهول . وهو يسأل الناس أن يحلوا له لغزاً . والذى لا يقوى على ذلك يقتله فوراً . اللغز هو: ماهو الحيوان الذى يمشى على أربع فى الصباح ، وعلى اثنتين فى الظهر ، وعلى ثلاث فى الليل ؟ !

وقتل الوحش مئات من الناس . حتى أعلن الملك أن التاج وابنته الجميلة مكافأة لمن يقضى على هذا الوحش . والقضاء عليه هو أن يحل الإنسان هذا اللغز . فإذا حله ألقى أبو الهول بنفسه إلى الهاوية . وجاء الفتى أوديب وقال له : عرفت حل اللغز . . إن هذا الحيوان هو الإنسان : الذى يحبو على أربع فى طفولته ، ويمشى على رجلين فى شبابه ، ويتوكأ على عصا فى شيخوخته . . وانتحر أبو الهول !

* * *

ولو كان أبو الهول هذا حيًّا اليوم لجعل الفزورة أصعب فقال : ما هو هذا

الحيـوان الذى يمشـى بلا رجلين ويطير بـلا جناحين ، ويستحضر الماضـى والمستقبل دون أن يتحـرك من مكانـه ، ويرى ماوراء الجدران ، ويسمـع مالا وجـود له ويلـوى الحديد دون أن يلمسـه ، ويكتشف الماء والبترول بـأصابـع قدميه . . من المؤكد أن هذا الحيوان هو الإنسان !

ففى استطاعـة بعض الناس أن ينهض من فـراشه ليلا فى حالـة فزع يقول لك : لقد أصيب أخى فى حادث سيارة !

ويكون أخوه هـذا فى أمريكا وبينهما ألوف الأميال . وتجىء البرقيـات تؤكد هذا الحادث . . أو تنهـض الأم من فـراشها فى حـالة فـزع وتنطلق إلى الغـرفة الأخرى لتدرك طفلها قبل أن يقع من السرير . . أو يمشى إنسان فى الصحراء ويمسك عصاه ويدق الأرض ويقول : هنـا ماء عذب . . أو هناك بترول على بعد مئات الأمتار . . ويجىء من يحفر الأرض فيجد الماء أو البترول !

فما هذا الذى فى « داخل » الإنسان . . وأين هـو هذا « الداخل » . . أين فى عقله ؟ فى قلبـه ؟ فى مكان ما من جسمـه . . أو مكان ما فـوق جسمه أو حولـه . . ما هذا الذى يـراه الإنسان إذا تعاطـى عقاقير الهلوسة . . مـا هذه الأشجار والحيوانات . . وأين هذه الأنهار . . وكيف أن الأشياء يتحول بعضها إلى بعض فيكـون الماء حيواناً والحيوان جبـلا والجبل نهرًا والكل أنغام مـوسيقية . . كيف تتحول الصور إلى أصوات ، والأصوات إلى صور . أين ؟ وكيف ؟

* * *

وإذا تعاطى الإنسان حبوب « توسيـع المخ » وإلقاء حدود العقل إلى الوراء تظهر حيوانات متوحشة وكهوف ، وأنـاس بدائيون . . من أين جاءت وكيف ولماذا ؟ هل العقل الإنسانى غابة مليئة بكل أنواع الوحوش ، والنجوم لها عيون

من نار عيون بلا رءوس بلا أجسام ؟ هل هو محيط وفى المحيط حيوانات بحرية تأكل بعضها البعض وتأكل الإنسان فى النهـاية . . هل العقل الإنسانى غابة بـرية بحـرية جـوية متجمـدة ، ولكن الحيـاة تنفجر فيهـا جميعاً عنـد الخوف والغضب ؟

* * *

إن علماء النفس وعلماء الروح هم رواد الفضاء الداخلى للإنسان . . وككل رواد الفضاء لابد لهم مـن صواريخ تحمل سفنهـم إلى الفضاء الخارجى . . أو الفضاء العميق للعقل الإنسانى . .

إننا فى حياتنـا العادية لاندرك هـذا كله . . وإنما هى لحظات أو سـاعات ننطلق فيها إلى أبعد مما اعتاد العقل فى نشاطه اليومى . .

شىء غـريب يحدث لنا عنـدما يكون كل مـا حولنا هـادئاً مظلماً . . ضع رأسك على المخـدة فى هدوء وظـلام تام . فـإذا لم يجئ النوم فما الـذى ترى أو يتراءى لك . . مـا الذى تسمع أو يخيـل لك ذلك . . مـن أين جاءتـك هذه الصور وهذه الشعاعات الهاربة هنا وهناك . .

لقـد أجرى علماء النفـس تجاربهم على أسرى الحرب الكوريـة . . ليعرفـوا بالضبط ما هى طبيعة عمليات غسل المخ . وغسل المخ هذا له أشكال عديدة من بينها أن يـوضع الأسير فى زنزانة وحـده . وهو وحده مع الصمـت والظلام والعزلة وكل مخاوفه القديمة ، وكـل مخاوف الإنسانية . . وهذا العزل التام هو الذى يطلق عليه تلك الوحوش الكـاسرة فى أعماقه نهارا أمامها ، أو أمام نفسه . وبعد ذلك يسهل تشكيله وتطويعه واعترافه بكل شىء !

شيء آخر عجيب يحدث للجنود الذين يرابطون فى أماكن نائية وحدهم فى الصحارى أو فى القطب الشمالى أو فى البحار الجنوبيـة . هؤلاء الجنود يعجزون عن رصد الطـائرات المعادية ـ وعلى الـرغم من أن الطائرات المعـادية تظهر على شبكـات الرادار ، فـإنهم لايرونها . لماذا ؟ لأن العقـل الإنسـانى إذا لم يجد مـا يشغله . وإذا لم يكـن هذا الذى يشغلـه منوعـاً مثيراً منعشاً ، فإن هـذا العقل يضطرب . فإذا نظرنا إلى ما يفعله الجنـدى الجالس ليلاً ونهاراً فى صمت وعزلة وظلام أمام شبكة الرادار فى انتظار بقعة بيضاء تظهر عليها . . وأن هذا العمل يستمر أياماً ، أدركنـا أن العقل لابد أن يختل إذا تركزت كـل قدراته الهائلة على رؤية بقعة متحركة ، تجىء أو لا تجىء !

وكـذلك سـائقـو اللوريـات فى الشـوارع الطويلـة . كثيراً مـا اصطدمـت سياراتهم . ليس فقط لأنهم ينامون من التعب . ولكن لأنهم يرون أشياء غريبة تقفز أمامهـم . ويحاولون تفاديها فتقع الحوادث . مع أن هذه الحيـوانات التى يرونها ، لاوجود لها .

وفى بحث أصـدرته جـامعتا السـوربون وهارفـارد عن متـاعب الطيـارين وسائقى السيارات والجنود فى المناطق المنعزلـة جاء : أن سائقى اللوريات يرون فجأة مايشبـه العنكبوت الأحمر على الزجاج ، ويرون خيولا وأبقـاراً وكلاباً على الطريق . . مع أنه لا وجود لها !

وهذا بـالضبط ما يحدث للـرهبان أيضاً فى صوامعهـم . فالراهـب يقضى الأيـام الطويلـة يشرب السوائل . ولا يتحـرك ولا يسمع شيئـاً . وفجأة يخيـل للـراهـب أنـه رأى مـا لا عين رأت ، ولا أذن سمعـت ، ولا خطـر على بـالـه قط . ويعرف الراهب أن هذه جميعاً نتيجـة طبيعية للعزلة أو للصفاء النفسى ،

أو تجريد نفسه من كل ما حوله مما يلفت العين والأذن والأنف والأصابع . .

* * *

وجاء فى بحث جامعتى هارفارد والسوربون : أن أكثر متاعب الناس فى العصر الحديث سببها : الشعور بالعزلة والصمت الرهيب . ولذلك فإن كل وسائل النشر والتسلية فى العالم قد اتخذت لها عدوًّا واحداً لا شريك له هو : الملل . . فهى تقضى على الملل بكل القصص والمسلسلات البوليسية والأغانى والإعلانات . وقد أسرفت شركات التليفزيون فى التنبيه العنيف حتى ليخيل إلى من يراها أن الذين يظهرون على الشاشة يوشكون أن يمدوا أيديهم فيصفوا المتفرجين أو يطلقون سيقانهم ليركلوهم حتى لايناموا . . أو حتى لا يستسلموا للملل .

ففى العصر الحديث نجد أن الإنسان ممنوع من أن يكون وحده فى صمت . ممنوع أن يتأمل . وإنما المطلوب هو شفاؤه من أعراض الانفراد والفردية والتأمل، وإنما يجب أن يكون مع الناس ومثلهم تماماً !

هناك تجربة معروفة فى أمريكا لطبيب اسمه د . للى . هذا الرجل أعطى لنفسه بعض العقاقير ، التى توسع حدود المخ وآوى إلى غرفة مظلمة هادئة : فلا شىء يراه ولا شىء يسمعه . وظل أياماً وكان يجلس إلى جواره طبيب آخر وفى نفس الظروف . وفى أحد الأيام سأل أحدهما الآخر : هل تعتقد أننا متنا ؟

ومما قاله الطبيب للى إنه أحس أن جسمه قد خف وزنه . وأنه هو انفصل عن الجسم . . وهو لايعرف بالضبط ما الذى انفصل . . وإنما كأنه هو كان حبيس زجاجة . انفتحت الزجاجة وطار الدخان . ولكن ما تزال له صلة

بالجسـم . . بل إنـه كان يحس أنـه ينظر إلى جسمـه . . وقد تكـوم فى إحدى الغرف المظلمة . ولا يعرف ما هى بالضبـط العلاقة التى تربطه بهذا الشخص الذى اعتـاد النظر إليـه . . ثم لاحـظ أنه يستطيـع أن يتحرك فى أى اتجاه وأن يـذهب إلى الماضـى فيرى نفسـه طفـلا . وأن يتجه إلى المستقبـل فيرى نفسـه يموت تحت عجـلات إحدى السيارات ـ وهـذا ما حدث له بعـد ذلك بعشرة أعوام . ويقول د . للى : إن الجديد عليه تماماً أنه رأى اثنين من الناس . . أو من الملائكة أو من الشياطين أو من الأرواح . . لا يعرف . إنهما اثنان بلا رأس ولا عنق . . ولكـن لهما عينان مطبقتان . . وقـريبان منـه وينصحانه معـاً بأن يفعـل كذا أو لا يفعلـه وهذان الاثنـان عن يمينـه وشماله . . وعنـدما دخـل جسمه هو ، تماماً كما يدخل السائل الموجود فى حقنة إلى جسم الإنسان . . أو كما تدخـل أنت فى ملابسـك . . اختفى هذان الشيئـان اللذان لا وزن لهما ولا لون . . وإنما كالدخان الأبيض الشفاف . .

وفى تجربة أحد الرهبان الهنود أنه سمع أصـواتاً عجيبة من بينها : لا تدخل هذه الغرفة . . لاتطلب التليفون رقم كذا . . الجماعة سافروا . . ابنهم الوحيد مات . .

ومن العجيب حقًّا أن هذا الراهب كان على جبل الهملايا بالهند . . أما رقم التليفون الذى يتحدث عنه والذى قال إنه يدق ولكن أحداً لايرد فهو تليفون فى عيادة د . للى . . . وأما الابـن الوحيد الذى توفى فهـو د . للى أيضاً . . وهذا الراهـب يسمع ذلك فى صومعتـه على بعد عشرة آلاف كيلو متر . . وهـو لم ير د. للى هذا من قبل !

كيف تكـون الرؤية عن بعـد ؟ وكيف يكون السماع عن بعـد ؟ وما

هذه القوة الهائلة الموجودة فى العقل الإنسانى عند بعض الناس ؟

* * *

ثم أخيراً تجربة ذلك الشاب يورى جيلر إنه قادر على أن يلوى المعادن جميعاً بمجرد أن يمر بـأصابعه عليها . . وهو يطلب عـادة إلى أى إنسان أن يمسك شوكـة أو سكيناً ثم يلعـب هو بأصـابعه مـن بعيد ، فإذا المعـادن تلتوى . . والعجيب أنـه يستطيع أن يفعل ذلـك عن طريـق التليفزيون أيضـاً . . فيركز عينيه على المشاهدين الذين لايراهم ـ وهذا عجيب جدًّا ـ فإذا بعض الخواتم أو الملاعق تلتوى . .

وقد ذهبت سويدية إلى القضاء تطـالب بإلقاء القبض عليه لأنها حملت . وكانت قد قررت ألا تحمل . أما الـذى حدث فإن جيلر هذا استطاع أن ينظر إليها ويمر بأصابعه من بعيد على جسمهـا ، فالتوى اللولب الذى وضعته لمنع الحمل ، فحملت !

فهل هو العقل وحده ؟ هل هى خلايا العقل التى تكمن فيها هذه القـدرات الخارقة ؟ هـل هـو الإنسان وحـده الـذى يملـك كل هـذه القدرات الإبداعية ؟

إذن كيـف نفسر هجرة الطيـور ألوف الأميـال مـن مكان إلى آخـر دون أن تخطئ ودون أن تكون قد ذهبت إليـه قبل ذلك . . إن طيور السمان التى تجىء إلى شواطـئ الإسكندرية وشمال الـدلتا تهاجـر من أوربا . . أكثـرها لم يجئ إلى مصر قط . . ولكنها تجىء . كيـف ؟ هل تهتدى بالنجوم ؟ هـل بمغناطيسية الأرض؟ هل بملـوحة بخار الماء ؟ هـل بشكل الأرض ؟ لا أحد يعـرف بصورة مؤكدة .

وكذلك الأسماك فى المحيطات كيف تهاجر ألوف الأميال دون أن تخطئ . . بأى شىء تهتدى ، على أى شىء تعتمد . . إن أحداً لايعرف . . فأين تكمن هذه القدرة على الاتجاه ؟ وأين تكمن تلك الساعات التى تدق فى رءوس الطيور والأسماك تعلن موعد الهجرة وموعد العودة إن كتبت لها الحياة . . لقد حاول العلماء وضع صفائح مغناطيسية على الطيور والأسماك لكى تشوش عليها . . ولكن الطيور والأسماك وصلت فى نفس الموعد إلى نفس المكان .

أبسط من ذلك : ما هو هذا العقل الموجود فى الحيوان المنوى ويجعله يتحرك ليبنى إنساناً كاملا فيه صفات الأم والأب . . ما الذى يجعل خلية مختلفة فى حركتها عن خلية القلب وخلية الكبد ؟ من الذى يفرز هذه الخلايا ؟ من الذى يحركها جميعاً فى تناسق رائع . . أين هى القيادة . . ما هو مايسترو ملايين الملايين من خلايا الجسم الإنسانى . . ينظمها ويوجهها ويخصصها وينميها ويجمعها فى هذا الإطار المعجزة . . وكذلك خلايا النبات . كيف ؟

* * *

هل كان من الضرورى للعقل الإنسانى أن يبدأ بأبسط الأشياء ليعرف أصعبها . يتساءل عن سر الخلية ثم بعد ذلك يتجه إلى سر العقل وسر الكون . . هل الإنسان تجاوز حدود قدراته ؟ نعم ؟ الإنسان حيوان أكبر مما يتصور . . الإنسان حيوان يفرز أعقد الأسئلة وأكثرها غموضاً . . فالإنسان يتساءل : أين هو الله ؟ مع أن الإنسان لم يجب بعد عن ما هى الخلية . .

هل من الضرورى أن يقف الإنسان عند حدوده الجسمية . . هل يقف عند « الجزمة » كما تقول الأسطورة اليونانية . يقال إن فناناً اسمه ابلليس كان يرسم لوحاته ثم يتوارى خلفها ليسمع ما الذى يقوله الناس عنه وعنها . وفى يوم جاء

صانع أحذيـة . ونظر إلى اللوحة فوجد أن الحذاء أكبر مـن القدمين . فقال : عيب اللوحة أن الذى رسمها لايفهم فى صناعة الأحذية . .

وفى اليوم التالى عاد صانع الأحذية ليجد أن الفنان قد أصلح الحذاء . فقال صانع الأحذية : الحذاء الآن أحسن . . ولكن لون الشعر لايعجبنى . !

وهنا صرخ الفنان وراء اللوحة وهو يقـول : كفى ! لا ترتفع عن الحذاء من فضلك اعرف حدودك !

ولكـن الإنسان لا يعـرف لـه حـدوداً . . لأن العقل بـلا حـدود . وحيرة الإنسان بلا نهاية ولكن الذى يبهر الإنسان ليس خارجاً عنه إنه هنا فوق كتفيه فى هذه الغرفة المظلمة التى هى مصدر النور لحياتنا : هذا الرأس وما به من مخ أو من عقل أو من وجدان أو حكمه . .

أيها الإنسان أنـت أكبر وأعظم وأروع مما تتصـور ولكنك لا تـدرى . . فلا عندك وقت ولا عندك صبر ولا لك رغبة . فأنت ضحية دنياك الضيقة !

المحتويات

رقم الإيداع : ١٩٨٩/٨٦٩٠
الترقيم الدولى : ٢ - ١٤٨ - ٣٨١ - ٩٧٧

مطابع الشروق
القاهرة ٨ شارع سيبويه المصرى - ت ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت . ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس . ٨١٧٧٦٥ (٠١)

كيف تكون الرؤية عن بعد؟ وكيف يكون السماع عن بعد؟

وما هذه القوة الهائلة الموجودة فى العقل الإنسانى عند بعض الناس؟

هل هناك «لعنة» حقيقة؟ وما معنى كلمة «لعنة»؟..

هل هى تعويذة سحرية.. هل هناك حروف يمكن تسليطها على الناس؟

هل للحروف قوة على الأشياء والناس؟ هل للحروف «خدام» كما يقول

رجال الدين وعلماء الروح؟ هل هؤلاء الخدام قوة غير إنسانية.. قوة

شيطانية؟

كل ما حدث هو أن واحداً على مليون من الجرام من مادة كان يقوم بتركيبها قد علق بأصابعه.. ولمست أصابعه شفتيه.. فكانت هذه الهلوسة.. ومن يومها والعالم يعرف هذا العقار الرهيب الذى اسمه: ل. س. د.. فهل لعنة الفراعنة شىء من ذلك!

لهذا كانت لعنة الفراعنة من عجائب الآثار والعلوم والطبيعة والكيمياء والطب والسحر..

وفى اللغة الفرعونية القديمة كلمات كثيرة تدل على أن الموت ليس إلا نوماً.. أو انتظاراً ليقظة أطول وأروع - أى يقظة مروعة أو رائعة.

6 221102 002332